

مأساة زینب

علاء الدین





مأساة زينب

تأليف

على أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

(أشخاص المسرحية)

(بترتيب ظهورهم على المسرح)

- فرديهه : الجنرال فرديهه نائب القائد العام .
بلانش : زوجته .
زينب :
محيى الدين : ابن عم زينب وحبيبها .
حافظ : أعمى من فلول أتباع الشيخ سليمان الجوسقى .
مينو : الجنرال مينو . قومندان القاهرة ثم القائد العام .
جاكلين : امرأتان فرنسيتان .
فرانسواز :
زبيدة : زوجة الجنرال مينو .
الرشيدى : على الرشيدى أخو زبيدة من الأم .
على : أعمى من فلول أتباع الشيخ الجوسقى .
فريان : الجنرال فريان . قائد فرنسى .
عبده : أحد عمال البناء .
كليير : الجنرال كليير . القائد العام .
البشتيلى : الحاج مصطفى البشتيلى .

— ٤ —

- داماس : الجنرال داماس من كبار القواد .
- سليمان : سليمان الحلبي قاتل كليبر .
- رينيه : من كبار القواد .
- لأنوس
- ردستون : تاجر في رشيد . جاسوس إنجليزي .
- أم زينب : والدة زينب .
- لطيفة : جارية أم زينب .
- أم داود : أرملة الشيخ الجوسقى .
- هتشنسون : الجنرال هتشنسون قائد القوات الإنجليزية .
- الضابط : ضابط إنجليزي مرافق هتشنسون .
- نصوح : نصوح باشا قائد عثماني .
- الطنبورجي : عثمان الطنبورجي من أمراء المماليك .
- خليل : الشيخ خليل البكري والد زينب .
- كريت : السيد حسن كريت نقيب الأشراف برشيد .
- عبد العال أغا : جلاد .
- جنود — حرس — جموع من عامة الشعب .

الفصل الأول

في مقر القيادة العامة « بيت الألفى بك » بهو كبير
في الحرم ملك يتصل برواق واسع يحيط بالبيت كله من
جميع جوانبه .

في صدر المسرح باب مفتوح بين البهو والرواق
يكشف جانبا من داخل البهو . يظهر في الجانب
الأيسر من المسرح جزء من الممر الموصل إلى
السلامك حيث يمكث القائد العام .

الوقت : ضحى يوم ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠
(يرفع الستار عن الجنرال فردييه نائب القائد
العام وزوجته بلانش وعندهما زينب وهم يجلسون في
جانب من الرواق) .

بلانش : (تنهض) انتظري يا زينب سآتي بقطرة لعينيك .

زينب : (تمسكها لتجلسها) كلا لا داعى لذلك .

بلانش : عيناك محمرتان .

فردييه : أجل دعها يا زينب تعالج عينيك . لا تخافى .. إنها

أصبحت خبيرة في أمراض العيون من كثرة ما عالجت في

- المستشفى تحت إشراف الدكتور ديجنت .
- زينب : أعرف ذلك ولكن ليس بعينى شىء .
- بلانش : وهذه الحمرة ؟
- زينب : لم أستطع أن أنام البارحة من القلق . هذا كل ما هناك .
- فرديه : ما هذا يا عزيزتى بلانش ؟ أبعد هذا المران الطويل كله لا تقدرين أن تميزى بين حمرة السهر وحمرة الرمد .
- بلانش : يا عزيزى لا تخلط الجذ والهزل . أنا لست طيبة . أنا ممرضة .
- فرديه : معذرة يا عزيزتى بيانكا . لكن فيم يا زينب كل هذا القلق ؟ هل حدث بينك وبين أبيك شجار جديد ؟
- زينب : لا يا جنرال فرديه .
- بلانش : بينك وبين أمك ؟
- زينب : لا .. ما عدت أقلق لمثل هذه الأمور .
- فرديه : من جراء هذه الحرب ؟
- زينب : نعم .
- فرديه : هونى عليك . إنها شر لا بد منه . وعلينا أن نواجهها راضين أو كارهين .
- زينب : أنا أخشى من الأتراك والمماليك أن يحكمونا مرة أخرى .
- فرديه : اطمئنى . أنا واثق أن الجنرال كليبر سيهزمهم اليوم هزيمة منكرة .

- زینب : حتى فى هذه الحالة أخشى أن يرجع كليبر عن رأيه فى الجلاء بعد ذلك .
- فرديه : كليبر يرجع عن رأيه فى الجلاء ؟ هذا مستحيل .
- زینب : ربما يتغلب رأى الجنرال مينو وأنصاره فى الجيش .
- فرديه : كلا .. مينو وأنصاره أضعف من ذلك .
- بلانش : هل لى أن أنصحك يا زینب من قلب مخلص ؟
- زینب : نعم .
- بلانش : ولا تغضبين منى ؟
- زینب : لا .
- بلانش : تزوجى محبى الدين ابن عمك . لا ينبغي أن تعيشى هكذا وحيدة .
- زینب : مدام فرديه .. ما صلة هذا الكلام بما نحن فيه ؟
- بلانش : الوحدة يا حبيبتى هى التى تثير هذا القلق فىك .
- زینب : هو الذى أوعز إليك ؟
- بلانش : لا وحياة العذراء . ولكنى أعلم أنك تحبينه وهو يحبك .
- زینب : (فى صرامة) مدام فرديه إن كنت تحبيننى حقا فاتركى هذا الحديث فإنه يؤلنى .
- بلانش : صدقينى .. أنا ما قلت هذا إلا لأنى أحبك .
- زینب : أعلم ذلك ، ولكنه أمر لا سبيل إليه الآن فأنا مشغولة بما هو أهم .
- فرديه : (ينظر أمامه) ها هو ذا محبى الدين قد أقبل .

(يدخل محبى الدين فيرحب به فردييه ومدام فردييه) .

محبى الدين : الحمد لله إذ ليس عندكم أحد .

زينب : عندك أخبار ؟

محبى الدين : هامة جدا .

زينب : خير ؟

محبى الدين : تعال يا حافظ .

(يدخل حافظ الأعمى من فلول أتباع الجوسقى) .

زينب : قص علينا ما عندك . من أين جئت أولا ؟

حافظ : من إقليم المنصورة . الناس فى هياج شديد لأن

الفرنسيين عادوا إلى حصونهم بعد ما تركوها . وتواجد

الأتراك من جنود الصدر الأعظم فدعوا الناس إلى الجهاد

فامتنع أنصارنا واستجاب الباقون ووقعت بينهم وبين

الفرنسيين اشتباكات دامية .

زينب : لقد أحسن أنصارنا صنعا إذ لم ينخدعوا بدعوى الأتراك

الزائفة . نبه من تلقى من أصحابنا إلى ذلك .

حافظ : سمعا وطاعة . (ينصرف) .

(ينظر فردييه وبلانش إليه متعجبين من اهتدائه إلى

الطريق وهو أعمى حتى يغيب) .

فردييه : هذا من أتباع الشيخ الجوسقى ؟

محبى الدين : نعم .

- فرديه : الشيخ الأعمى الذى لطم بونابرت ؟
- محبى الدين : نعم .
- بلانش : غير معقول .
- فرديه : سمعت ذلك من بونابرت نفسه . قال لى إنها اللطمة الوحيدة التى ذاقها فى حياته . كان شديد الإعجاب به ويقول عنه إنه ما رأى فى حياته مثله .
- فرديه : الواقع أنه يستحق الإعجاب ، فمشروع جيش الشعب الذى كان يسعى لإنشائه يدل على صدق رؤيته وبعد غوره فى السياسة .
- بلانش : فم إذن قتله بونابرت ؟
- فرديه : لأنه كان خطرا علينا إذ ذاك ، أما اليوم بعدما أدر كنا ألا مناص لنا من الجلاء عن هذه البلاد فمن مصلحتنا أن نشجع هذا المشروع ولو فى السر .
- زينب : لكن الجنرال كليبر ما زال مترددا فى تأييد هذا المشروع .
- فرديه : لأن معاهدة العريش كانت تلزمه بتسليم البلاد إلى الأتراك .
- زينب : واليوم وقد نقضوا المعاهدة ؟
- فرديه : فسيكون له موقف آخر لا شك . المهم أن نتصر اليوم على العدو .
- زينب : المهم عندنا يا جنرال فرديه أن نعلم ماذا أنتم فاعلون بعد الانتصار ؟

- فرديه : ماذا تعنين يا زينب ؟
- زينب : أتعاونون حينئذ معنا على الجلاء . أم تتعاونون معهم ؟
- فرديه : كلا لن نتعاون معهم أبداً إلا إذا اضطررنا إلى ذلك ،
لحاجتنا إلى السفن التي تحملنا إلى بلادنا .
- زينب : هذه هي العقدة .
- فرديه : عقدة لا حل لها إلا إذا تغيرت الظروف في أوروبا
واستطاع بونايرت أن يسعفنا بالسفن من عنده .
- بلانش : لا تعتمدوا على بونايرت ، فقد صدق الجنرال كليبر إذ
قال عنه إنه شغل عنا بالسعى لبناء مجده الشخصي
هناك .
- فرديه : ماذا ترين فيه يا زينب ؟
- زينب : لا تسألوني . لم يبق له عندى اليوم من وجود .
- محيى الدين : لقد صدقت يا جنرال فرديه . المهم اليوم أن تنتصروا
على جيش الترك ثم تنظر بعد ذلك فيما يكون .
- فرديه : أليس كذلك ؟ اطمئنى يا زينب فلن يقع بعد ذلك
إلا كل خير .
- محيى الدين : ما رأيك يا جنرال فرديه فى السيد على الرشيدى ؟
- فرديه : صهر الجنرال مينو ؟
- محيى الدين : نعم .
- زينب : السخيف الذى يغازلنى كلما رآنى .
- فرديه : هذا من محاسيب مينو وجواسيسه . يعتقد أن مينو أحق

- بالقيادة العامة من كليبر . لكن لماذا تسألني عنه ؟
- محيى الدين : لأني رأيت منه اليوم ما رايتني .
- فرديه : ماذا تعنى ؟
- محيى الدين : رأيته يتصل بأترك خان الخليل ويتهامس معهم ، ومعه رجل أشقر علمت فيما بعد أنه تاجر إنجليزي في رشيد .
- فرديه : تاجر إنجليزي ؟
- زينب : هل تأكدت من ذلك ؟
- محيى الدين : نعم .. اسمه رdstون .
- فرديه : وما الذى رايت منهم ؟ لعلهم كانوا أصدقاء .
- محيى الدين : رأيتهم يتلفنون حولهم ويتهامسون كأنهم يدبرون أمرا .
- بلانش : (مداعبة) إياك يا سيد محيى الدين أن تقول هذا بدافع الغيرة .
- فرديه : لأنه ينافسك فى حب زينب .
- محيى الدين : كلاً يجب أن تعلمنا أننى لا أغار على زينب من أحد .
- الاثنان : ماذا تقول ؟
- زينب : لقد صدق فيما قال . لأنى لو أردت أن أتزوج أحدا ما تزوجت غيره أبدا .
- بلانش : معذرة يا سيد محيى الدين إنما كنت أداعبك .
- فرديه : أجل ، ولو سمعت ماذا قالت عنك اليوم قبل حضورك لاستحقت منك هدية معتبرة .
- محيى الدين : لا نشك فى حبكم لنا يا آل فرديه وحنانكم علينا ،

— ١٢ —

- ونحن نعتبركم كأناكم
 (ينهض) ائذنوا الى الآن .
 : الى أين ؟ الى خان الخليلى ؟
 محبى الدين : (ضاحكا) الى خان الخليلى وغيره .
 فرديه : لا تنقطع عنا كثيرا يا محبى .
 محبى الدين : سوف أعود فى الحال . (يخرج) .
 (يدخل الجنرال مينو فيتبادل معهم التحية) .
 مينو : يسرنى أن أراك هنا يا مدام بونابرت .
 زينب : يا جنرال مينو أنا لست مدام بونابرت ..
 مينو : مدام محبى الدين ؟
 زينب : زينب البكرى .
 مينو : إن كان السيد محبى الدين لا ينوى أن يتزوجك ،
 فاسمحي لى أن أرشح لك صهرى العزيز السيد على
 الرشيدى .
 زينب : يا جنرال مينو أنا مخطوبة لمحبى الدين ابن عمى .
 مينو : كان هذا قبل أن يتزوجك بونابرت .
 زينب : وما زلت حتى اليوم .
 مينو : لم لا تتزوجان إذن حتى تريحانى من على الرشيدى
 وإلحاحه علىّ (يتضاحك) .
 فرديه : (ليغير موضوع الحديث) سيدى القومندان كيف
 حال الأمن فى العاصمة ؟

- مينو : على أحسن ما يرام .. مستتب في كل مكان .
- فرديه : تذكر أننا ألفان فقط في العاصمة .
- مينو : إن كنت تخشى من ثورة الأهالي فاطمئن ، فإن رجالى ساهرون يقظون .
- فرديه : وخان الخليل هل لك دورية فيه ؟
- مينو : ولماذا خان الخليل بالذات ؟
- فرديه : لأن فيه جماعة كبيرة من الأتراك .
- مينو : هؤلاء استوطنوا البلد من قديم ، فلا خوف منهم .
- فرديه : ربما يتجسسون لبنى جنسهم .
- مينو : أوه هذا بعيد .
- (يدخل جندى فرنسى فيؤدى التحية العسكرية) .
- فرديه : أنت من عند الجنراك زاويتشك ؟
- الجندى : نعم يا سيدى الجنرال .
- فرديه : هيه كيف الحال عندكم في الجيزة ؟
- الجندى : على ما يرام يا سيدى الجنرال .. هل من نبأ جديد عن المعركة ؟
- فرديه : نعم نبأ ثان يؤكد النبأ الأول . إن جيشنا بمربعاته ما زال هو المسيطر على الميدان ، وإنه يزحف رويدا رويدا للاشتباك مع العدو .
- الجندى : (يتيمأ للانصراف) هل من رسالة أخرى أبلغها للجنرال زاويتشك .

- فرديهه : قل له إني أشكره على يقظته وحسن معاونته .
(يخرج الجندي) .
- مينو : أراك متفائلا يا جنرال فرديهه أكثر مما ينبغي ..
- فرديهه : ما أشك أن الجنرال كليبر سيلقن هؤلاء الأتراك درسا قاسيا اليوم .
- مينو : ربما يهزمهم في النهاية لسوء قيادتهم وقلة نظامهم ، ولكنهم سيكبدوننا لا شك خسائر جسيمة .
- فرديهه : لا بد للنصر من ثمن .
- مينو : ما كان أغنانا عن دفع هذا الثمن .
- فرديهه : كيف ؟
- مينو : لو كنا رفضنا معاهدة العريش الخاسرة .
- فرديهه : أوه ! ما زلت تحمل على معاهدة العريش . تلك معاهدة قد عقدت ثم نقضت وانقضى أمرها .
- مينو : لكننا ما زلنا نعيش في عقابيلها .
- فرديهه : التبعة ليست علينا بل على من نقضوها .
- مينو : بل التبعة على من فرضها علينا فرضا .
- فرديهه : كلا ما فرضها علينا أحد . لقد كان الجيش كله يؤيدها ويراه سبيلا إلى الخلاص .
- مينو : أنا عارضت كليبر فيها وحذرت من عواقبها .
- فرديهه : أنت كنت تعارض فكرة الجلاء على الإطلاق
- مينو : أجل .. كيف نترك مستعمرتنا الجميلة هذه بغير

مقابل ؟

فرديه : بل مقابل رجوعنا بشرفنا وكرامتنا وعتادنا وأسلحتنا إلى
وطننا المحبوب .

مينو : فهل عدتم إلى وطنكم المحبوب أم خدعوكم فأخذوكم على
غرة ؟

فرديه : هذا ليس ذنبنا بل ذنب الإنجليز الذين نقضوا المعاهدة .
مينو : لقد كنت أعلم أنهم سينقضونها .

فرديه : كنت تعلم ؟ من أين ؟
مينو : (في ارتباك) أعنى كنت أتوقع ذلك .

فرديه : منذا جعلك تتوقع ذلك ؟
مينو : السير سيدنى سميث .

فرديه : ما كنت في المفاوضات فأين اتصلت به ؟
مينو : أنا لم أتصل به ولا أعرفه .

فرديه : عن طريق وسيط .. من كان الوسيط ؟
مينو : (صائحا في حدة) ما هذا يا جنرال فرديه ؟ أتريد أن

تتهمنى ؟

فرديه : معاذ الله .

مينو : إنك استدرجتني حتى جعلتني على صلة بالسير
سيدنى سميث .

فرديه : أنت الذي ذكرت اسمه . أنسيت ؟

مينو : ذكرت اسمه لأقول إنه وهو الذي كان متحمسا لعقدها

- لم يوقع عليها ، ولذلك توقعت أنهم سينقضونها .
- فرديهه : معذرة لقد أخطأت فهم ما تريد .
- مينو : والآن فهمت ؟
- فرديهه : نعم .
- (تدخل جاكلين وفرنسواز فتبادلان التحية مع الحاضرين) .
- جاكلين : استوحشنا وحدنا فى البيت، فجئنا نسأل عن الأخبار .
- فرديهه : اطمئنا . الأخبار طيبة .
- مينو : بلغنى أنكما تتناوبان فى خدمة الجنرال كليبر .
- فرانسواز : نعم .. يوم علىّ ويوم على جاكلين .
- مينو : يا له من رجل محظوظ .
- جاكلين : يجب أن تعلم يا جنرال مينو أننا متزوجتان .
- مينو : أعلم ذلك وأعلم أنكما تخدمانه لأنه غير متزوج .
- جاكلين : بل لأنه القائد العام يا جنرال مينو .
- فرانسواز : وخدمة القائد العام تعتبر خدمة للدولة .
- مينو : نعم . نعم . هذا ما أردت أن أقوله . لكى يتفرغ القائد العام لمهام منصبه .
- جاكلين : الواقع أننا جئنا لنطمئن على زوجينا أيضا لأنهما يقاتلان الآن فى الميدان .
- مينو : اطمئنا فسيعود الثلاثة بإذن الله سالمين .
- (يتصاحك الحاضرون) .

- جاكلين : إنك لتحسن النكتة يا جنرال مينو مع أنهم قالوا إنك أسلمت .
- مينو : ومن قال لكما إن الإسلام يمنع النكتة ؟
- فرانسواز : هل حقا أنك ما أسلمت إلا من أجل الحب ؟
- مينو : ما رأيكما ؟ ألا يستحق الحب ذلك منى ؟
- جاكلين : فى رأى أنه يستحق ذلك .
- فرانسواز : وفى رأى أنه يستحق أكثر من ذلك .
- (يتضحكون) .
- صوت : (من الخارج) مدام فردييه .
- بلانش : هذا صوت السيدة زبيدة (تنطلق لاستقبالها وتخرج) .
- مينو : ادخلى يا زبيدة .
- (تعود بلانش ومعها زبيدة وعليها الملاءة والبرقع) .
- زبيدة : بونجور يا جنرال فردييه .
- فردييه : بونجور يا مدام مينو .. تفضلى .
- بلانش : سنجلس نحن النساء على حدة (تنحى زبيدة جانبا فى الرواق) زينب . جاكلين . فرانسواز . تعالين .
- فرانسواز : (تتمتم) وعلام هذه التفرقة ؟
- جاكلين : اسكتى . هذه العادة عندهم .
- (تنضم زينب وجاكلين وفرانسواز إلى بلانش وزبيدة) .

- مينو : هذا الحجاب ما أسخفه ! لم أستطع أن أقنعها بتركه .
 فردييه : معذرة . لا يمكن أن تتركه إلا إذا تحدثت الناس جميعا كما فعلت زينب .
- مينو : كان بونابرت يقول إن هذا الحجاب ليس من الإسلام في شيء .
 فردييه : يا جنرال مينو . نصدق شيوخ الأزهر أم نصدق بونابرت ؟
- مينو : سمعت أن بعض شيوخ الأزهر وافقوه على رأيه .
 فردييه : دعنا من هذا نحن الآن وحدنا فدعنا نلعب الشطرنج .
 (يسحب صندوق الشطرنج) .
- مينو : لا مانع . أنا كليبر وأنت الصدر الأعظم .
 فردييه : كلا أنت الصدر الأعظم وأنا كليبر .
- مينو : لماذا ؟
 فردييه : لأنى لا أريد أن يهزم كليبر .
- مينو : أتظننى لا أجيد اللعب ؟
 فردييه : بل أخشى أن تهزم لى .
- مينو : عمدا ؟
 فردييه : نعم .
- مينو : (غاضبا) إنك تهمنى .
 فردييه : (مستدركا) مجاملة لى .
- مينو : (يعود إلى الرضا) أنا لا أجامل فى اللعب . تها الآن ..

- احم صاحبك من الهزيمة .
 (يلعبان الشطرنج) .
 (يدخل على الرشيدى ، فيتلفت حوله) .
 الرشيدى : تلعبان الشطرنج . لا ينبغي أن أقطع عليكما اللعب .
 سأنضم إلى تلك الحلقة التى لا تلعب (ينضم إلى حلقة النساء) .
 (تتركز الإضاءة على الجانب الذى فيه النسوة) .
 فرانسواز : أنت يا هذا تقعد هناك مع الرجال .
 بلانش : دعيه يا فرانسواز .
 فرانسواز : إذن فلماذا قمنا من هناك ؟
 بلانش : هذا أخو السيدة زبيدة .
 جاكلين : أخوها ؟ غير معقول .
 زبيدة : نعم .. هذا أخى .. السيد الرشيدى .
 جاكلين : ليس بينكما أى شبه .
 زبيدة : هو أخى من جهة الأم .
 فرانسواز : أخوك أنت وحدك ، فما الذى خلطه بنا ؟
 بلانش : نحن غير متحجبات يا فرانسواز . هى وحدها المتحجبة
 وهذا أخوها لا تحتجب عنه أفهمت ؟
 فرانسواز : الآن فهمت .
 زينب : كان ينبغي عليه مع ذلك أن يجلس مع الرجال هناك .
 الرشيدى : فيم هذا الصدود يا زينب ؟ أنا ما جئت هنا إلا من أجلك

أنت .

زينب : عليك أن تعلم أن هذا مقر القيادة العامة ولا يصلح لمغازلاتك .

الرشيدى : انتهزت هذه الفرصة لأتقدم لخطبتك فى حضور الجنرال مينو وصهرى وزبيدة أختى .

زينب : ما هكذا تكون خطبة النساء المحترمات .

الرشيدى : أنت خلعت الحجاب وصرت مثل النساء الفرنسيات .

زينب : حتى النساء الفرنسيات لا يقبلن هذه الطريقة .

الرشيدى : أتجالسين الرجال وتحادثينهم وترفضين مجالستى أنا من دونهم ؟

زينب : أنا لا أجالس إلا الرجال المهذبين .

الرشيدى : لقد أردت أن أخطبك من نفسك على عادة الفرنسيين إكراما لك ، فأما إذ رفضت فلا أخطبك من أبيك على عادة أولاد العرب .

زينب : أنا ولىة أمرى إن كنت لا تعلم .

الرشيدى : وأبوك أليس له سلطان عليك ؟

زينب : لو كان له سلطان علىّ لما استطعت أن ترائى الآن .

(يظهر رجل أعمى من فلول أتباع الجوسقى) .

الأعمى : معذرة يا أهل المكان .. السيد محبى الدين موجود عندكم ؟

زينب : (تنهض إليه) شيخ على .

- الأعمى : سيدتى زينب !
- زينب : محبى الدين خرج وسيعود ، هل عندك من أخبار .
- الأعمى : نعم يا سيدتى . انهزم الأتراك فى المطرية وفر قائدهم ناصف باشا ، وقبله فرّ قائدهم الآخر نصوح باشا .
- الجميع : (يهتفون فرحا ما عدا مينو وعلى الرشيدى وزبيدة) : برافو .
- مينو : والصدر الأعظم يوسف باشا ماذا فعل ؟
- زينب : أجبه يا شيخ على . هذا الجنرال مينو يسألك ؟
- الأعمى : الصدر الأعظم لم اسمع عنه شيئا . هل لى أن أنصرف يا سيدتى ؟
- زينب : إذا شئت .. مع السلامة .
- (يخرج الأعمى) .
- مينو : أتصدقون هذا الأعمى ؟
- فرديه : هؤلاء من أتباع الجوسقى لا تكذب أخبارهم أبدا .
- مينو : هل شهدت المعركة ؟
- فرديه : عندهم طريقتهم الخاصة فى نقل الأخبار من واحد إلى واحد على التتابع .
- (يدخل جندى فرنسى فيؤدى التحية العسكرية للجنرالين) .
- فرديه : ماذا وراءك ؟
- الجنرال : حدث خطير يا سيدى الجنرال . القائد التركى نصوح

باشا دخل العاصمة في جماعة من الفرسان وزعموا أنهم
هزموا الفرنسيين ، وأخذوا يحرضون الناس علينا نحن
المرابطين في العاصمة .

فرديه : انطلق إلى الجيزة وأخبر الجنرال زايتشك ليكون على
استعداد .

الجنرال : سمع يا سيدى الجنرال . (ينطلق خارجا) .

مينو : أسمعتم ؟ كيف تصدقون ذلك الأعمى .

فرديه : سيدى القومندان هذا النبأ الأخير يقتضى أن تنطلق إلى
الحفاظة لتوجه رجالك إلى ما يجب عليهم أن يعملوه .

مينو : أنا تركت وكيلى برتلمى هناك .

فرديه : برتلمى ليس هو القائد القومندان .

مينو : صدقت .. أنا القومندان . زبيدة يا عزيزتى عندك

أخوك . يا سيد على اعتن بأختك (يخرج) .

(ينتحى على الرشيدى بزبيدة جانبا ويتجمع الباقون
في جانب) .

فرديه : (يقترب من زينب) ماذا ترين يا زينب ؟ أى الخبرين
نصدق ؟

زينب : لا تعارض بينهما . لعلهم دخلوا القاهرة بعدما انهزموا
في المعركة .

فرديه : حقا هذا محتمل . (يتحرك ليخرج) .

بلانش : إلى أين يا عزيزى ؟

- فرديه : سآمر رجالى بتحصين المكان وإقامة المتاريس حوله
والاستعداد للدفاع (يخرج)
(تغيب بلانش لحظة فى البهو ثم تعود بحقية كبيرة) .
- فرانسواز : ماذا فى هذه الحقية ؟
بلانش : حقية المستشفى فيها الأدوية والضمادات والأربطة .
فرانسواز : (فى ذعر) للجرحى والمصابين ؟
بلانش : لا تخافى .. على سبيل الاحتياط فقط .
فرانسواز : لو بقينا فى البيت يا جاكلىن لكان أسلم .
جاكلىن : أنت لا تفهمين . هنا آمن .
(يتركز الضوء على الجانب الذى فيه زبيدة وأخوها)
- الرشيدى : اسمعى كلامى .. ودعنى أوصلك إلى بيتك .
زبيدة : إنهم يقولون هنا آمن . ألم تسمع ؟
الرشيدى : هنا آمن لهم هم ولكن ليس آمن لنا .
زبيدة : لماذا ؟
الرشيدى : نصوح باشا لن يمسننا بسوء .
زبيدة : ما يدريك ؟
الرشيدى : أنا على اتفاق معه .
زبيدة : (مستكورة) على اتفاق معه ؟
الرشيدى : صه . هيا بنا ننصرف . لا تدعهم يرتابون بنا .
زبيدة : لكن ..
الرشيدى : (يأخذ بيدها) لا تترددى . (يتجهان للخروج) .

- بلانش : إلى أين ما مدام مينو ؟
- الرشيدى : سأوصلها إلى بيتها .
- بلانش : لكن هنا آمن لها .
- الرشيدى : أمر الجنرال مينو لا نستطيع أن نخالفه (يخرجان)
- (يعود الجنرال فردييه) .
- فردييه : أين السيدة زبيدة وأخوها ؟
- بلانش : انصرفا الساعة .
- فردييه : (يقترب من بلانش وزينب) فى نفسى من هذا الرشيدى شىء .
- بلانش : من أثر ما قاله السيد محيى الدين ؟
- فردييه : نعم . من يدري ؟
- زينب : ترى أين محيى الدين الآن ؟
- محيى الدين : (يظهر من عطفة الرواق يلهث كأنما فرغ من جرى طويل) هأنذا يا زينب بين يديك .
- زينب : (تراع ولكن تتجلد) أين كنت ؟ هل سمعت بخبر نصوح باشا ؟ الله . ماذا برأسك ماذا أصابك ؟
- محيى الدين : لا شىء .. جرح بسيط .
- بلانش : (تسرع إلى حقيبتها فتسولى تضميد الجرح) أرنى ياسيدى .
- محيى الدين : سيدى الجنرال مرهم بالاستعداد للدفاع عن القيادة العامة .

- فرديهه : قد فعلت .
- محيى الدين : أحسنت .
- فرديهه : ما الخبر ما محيى الدين ؟
- محيى الدين : الثورة فى كل مكان . جموع كبيرة من العامة يتنادون بالجهاد فى سبيل الله .
- زينب : بل فى سبيل الشيطان . خدعهم نصوح باشا باسم الدين والدين منه براء .
- فرديهه : لكن كيف بدأت ؟
- محيى الدين : بدأت فى خان الخليلى من الأتراك والمغاربة الذين هناك ، وكنت عند باب الأزهر أحذر الناس من الانخداع بأضاليل نصوح باشا وجماعته من الأتراك والمماليك . وبدأ الناس يصغون إلىّ لولا أن أقبل الجنرال يعقوب بفيلقه لا أدرى كيف انشقت عنهم الأرض فأخذوا يهاجمون المسلمين ويستفزونهم فى الأحياء المجاورة ، كلما فرغوا من حى انتقلوا إلى حى آخر . فصاح الناس فى وجهى . النصارى يقتلون فى المسلمين وأنت تمنعنا من الجهاد .. لنقتلك يا كافر . وأخذوا يرمونى بالحجارة فأدركت حينئذ أن الزمام قد أفلت ففررت منهم وجئت لأنذركم .
- فرديهه : ألم تر ذلك التاجر الإنجليزى مرة ثانية ؟
- زينب : الذى اسمه رdstون ؟

- محيى الدين : كنت حريصا أن أراه ولكنى لم أجد له حسا .
- زينب : اختفاؤه هذا يؤكد أن له يدا فى الأمر .
- محيى الدين : ولم أجد حسا لعلى الرشيدى كذلك .
- زينب : كان هنا معنا .
- محيى الدين : متى ؟
- زينب : منذ قليل وخرج ليوصل أخته زبيدة إلى دارها .
- فرديه : أنا بدأت أشك فيه .
- محيى الدين : ولم تصنع معه شيئا ؟
- فرديه : لا يصح أن تغضب الجنرال مينو فى شيء لا برهان لنا عليه .
- زينب : ربما يكون الجنرال مينو نفسه ...
- فرديه : كلا .. غير معقول .
- زينب : أليس هو ضد الجنرال كليبر ويرى نفسه أحق بالقيادة العامة منه ؟
- فرانسواز : يا سيدى الجنرال أراكم تتهامسون دوننا .
- جاكلين : إذ كنتم لا ترغبون فى بقائنا ..
- فرديه : أوه كلا .. بل يجب أن تبقى معنا لتكونا فى أمان ، ولكن حديثنا كان فى أمور خاصة لا شأن لكما بها .
- (تسمع حركة من الخارج ثم يدخل الجنرال فريان)
- فرديه : جنرال فريان . أهذا أنت ؟ (يتعانقان) من ساحة المعركة ؟

- فريان ، : نعم .
- فرديه : منتصرين أم منهزمين ؟
- فريان : بل منتصرين انتصارا ساحقا ونحن نطاردهم فلوهم الآن في كل مكان .
- فرديه : فما الذى جاء بك من دون الآخرين ؟
- فريان : كنت أطاردهم ناصف باشا حتى دخل القاهرة فانضم إلى الثوار .
- فرديه : والجنرال كليبر ؟
- فريان : ذهب يطارد الصدر الأعظم صوب بلبس .
- فرديه : اجلس .. استرح قليلا .
- فريان : كلا .. سأرى ماذا فعل غريمى ناصف باشا . (يهم بالخروج ثم يتردد) . معذرة .. من رأى يا جنرال فرديه أن تقصى السيدات من هنا ، فإن الثوار ستوجه أعنف هجومها على مقر القيادة (يخرج) .
- فرديه : ماذا ترين يا عزيزتى بيانكا ؟
- بلانش : كلا لا أتركك وحدك أبدا .
- فرانسواز : ونحن ماذا نصنع ؟
- فرديه : كما تحبان . إن شئنا بقيتا معنا وإن شئنا أرسلت معكما من يوصلكما من الجنود .
- جاكلين : سنبقى .
- فرانسواز : ربما يكون بيتنا أسلم يا جاكلين .

جاكلين : كلا سنكون وحدنا هناك ، وخير لنا أن نموت في
الصحبة من أن نموت في الوحدة .

فرانسواز : على مسئوليتك يا جاكلين .

جاكلين : كلا .. كل واحدة منا على مسئوليتها هي .

محيى الدين : وأنت يا زينب ما رأيك لو أوصلتك إلى دار والدتك ؟

فرديه : هذا لا شك أفضل لك يا زينب .

بلانش : أجل ستكونين هناك في أمان تام .

زينب : كلا لا أبرح هذا المكان أبدا .

بلانش : إن كان من أجلنا يا زينب فأنت في حل .

زينب : كلا ليس من أجلكم بل من أجل أمتي وبلادي . أريد

أن أجاهد هنا لعل أستطيع أن أبين للناس الخطأ الذى
وقعوا فيه .

محيى الدين : الناس فى المعمعان لا يميزون بين الخطأ والبصواب
ولا سيما العامة .

زينب : فانطلق أنت إلى الخاصة عسى أن يقنعوا العامة . اذهب

إلى العلماء والزعماء وأرباب الجاه والنفوذ ليبصروا

الناس بالحقيقة ويحذروهم من الوقوع فى هذه المكيدة ،

وينهونهم عن الاشتراك فى هذه الفتنة الكبرى ، ويقولوا

لهم إنهم سيكونون وقودا لها وأن الأتراك والمماليك

سيتفرجون ويضحكون ، وسيمدون أيديهم فى نهاية

الأمر إلى الفرنسيين ويلقون التبعة كلها على الشعب

المسكين .

محيى الدين : (يتهاى للخروج) حبا وكرامة يا زينب .

زينب : (تشيعه) محيى .

محيى الدين : نعم .

زينب : حافظ على نفسك .

محيى الدين : سأفعل يا زينب .. من أجلك .

زينب : (تقبل رأسه) هل يؤمك هذا الجرح بعد ؟

محيى الدين : لم يعد يؤلمنى بعد هذا البلسم الذى وضعته عليه ، ولكن

يؤلمنى جرح آخر يا زينب .

زينب : لا تكن طماعا يا رجل . اذهب . انطلق . فى أمان الله .

(يخرج محيى الدين) .

بلانش : لماذا تعذبن نفسك يا زينب وتعذبنه معك ؟

زينب : لست أفهم ما تعنين .

بلانش : بل تتجاهلين .

زينب : أتجاهل ماذا ؟

بلانش : كنت تودين لو ارتقيت بين ذراعيه .

زينب : هو فى شغل عنى وأنا فى شغل عنه .

بلانش : ما أحسبه يقوم بهذه الأعمال إلا من أجلك .

زينب : إنها بلاده كما هى بلادى .

(جموع الثوار يقبلون وتعالى أصواتهم من بعيد) .

فرانسواز : ما هذه الضوضاء ؟

- جاكلين : هذه جموع الثوار .
- فرانسواز : أنت السبب يا جاكلين .
- جاكلين : لا تحاولي أن تلقى اللوم عليّ .
- فرانسواز : هل نستطيع أن نهرب الآن ؟
- جاكلين : الآن هيئات . إلا إذا أردت أن تتخلصي من حياتك .
- زينب : أعطني بندقية يا جنرال فردييه .
- فردييه : ماذا تصنعين بها ؟
- زينب : سأقاتل بها معكم . سأطلق الرصاص على هؤلاء الأتراك والمماليك .
- فردييه : تحسنين إطلاق الرصاص ؟
- زينب : كل أتباع الجوسقى مدربون على استعمال السلاح .
- فردييه : ما كنت من أتباعه .
- زينب : صرت اليوم من أتباعه .
- (يناولها بندقية)
- بلانش : أعطني أنا أيضا .
- فردييه : خذى (يناولها بندقية) .
- بلانش : (لفرانسواز وجاكلين) وأنتما ؟
- جاكلين : نحن لا نعرف كيف نستعمل السلاح .
- فرانسواز : لا أحد علمنا ذلك .
- الأصوات : (تتضح) قاتلوا أعداء الله الفرنسيين .
- (تسمع طلقات الرصاص من الجانبين)

- فرديهه : إلى أين يا زينب .
- زينب : سأصعد إلى السطح .
- فرديهه : جنودنا في السطح .. لا يصح أن تكوني معهم .
- زينب : أريد أن أخطب الجماهير .
- فرديهه : خطر عليك . ألا يصيبوك برصاصهم .
- زينب : يجب أن أسمعهم صوتي . (تخرج) .
- فرديهه : (يصيح لرجالها) كفوا عن الضرب ريثما تقول السيدة زينب كلمتها للجماهير (ينقطع إطلاق الرصاص ويسمع صوت زينب تتخلله همهمات الاستكثار) .
- زينب : يا بنى وطنى . أيها المسلمون . لا يتخذ عنكم نصوح باشا وعصابته . إنهم فروا من الميدان منهزمين وزعموا لكم أنهم انتصروا على الفرنسيين . كيف تقاتلون قوما يريدون الجلاء عن بلادكم من أجل قوم يريدون أن يستعبدوكم ويستذلوكم من جديد ؟ أيها المسلمون . إن هؤلاء الأتراك والمماليك ليسوا من الإسلام فى شىء ، وإنما اتخذوه شعارا زائفا ليعودوا إلى ما كانوا عليه من ظلم وفجور . يا أولاد العرب هذه فرصتكم لتستردوا حرية العرب وكرامة العرب .
- أصوات : (مع أصوات الحجارة وهى تلقى عليها) اسكتى يا صديقة الفرنسييس . اسكتى يا خليعة بونابرت .
- اقتلوا الفاجرة . اقتلوا الكافرة .

(تخرج بلانش منطلقاً ثم تعود بزینب والدم یسيل على

وجهها) (تعود طلقات الرصاص من جديد) .

فردیه : (لبلانش وهى تضمد جرح زینب) إصابتها
خطيرة .. ؟

بلانش : ضربة حجر فوق الحاجب . الحمد لله إذ لم یصب
عينها .

فرانسواز : ألا خوف علينا يا جنرال ؟

جاکلین : إنهم يريدون اقتحام السور .

فردیه : سأمرهم الآن بإطلاق المدافع . ستحصدهم حصدا .

زینب : أرجوك يا جنرال فردیه .. لا توجهوا المدافع إلى جموع
الشعب . وجهوها إلى الأتراك والمماليك لعل الشعب
حين يرى ذلك ینفض عنهم .

فردیه : كيف نميز بينهم ؟

زینب : الراكبون على الخيل هم الأتراك والمماليك .

فردیه : لكن هؤلاء لا يتقدمون الصفوف بل يتترسون وراء
جموع الشعب .

زینب : بقدر الإمكان يا سيدى . بقدر الإمكان (تصوب

بنادقيتها فتضرب) هأنذا قتلت واحدا منهم .

(يعطى فردیه إشارة البدء فتطلق المدافع من كل

جانب) .

— ٣٣ —

(يهتز المبنى من طلقات المدافع فترتاع فرانسواز

وجاكلين وتضعان أصابعهما في آذانهما) .

(فردييه يتحرك من مكان إلى مكان ليعطى أوامره)

(بلانش تصوب بندقيتها وتضرب)

زينب : (تتمم) ترى أين أنت الآن يا محبى الدين !؟

(ستار)

« مأساة زينب »

الفصل الثانى

نفس المنظر السابق فى بيت الألفى بك ولكن بعد
أن ظهرت عليه آثار التهديم والترميم من جراء الثورة
السابقة .

فى الممر شبه خيمة نصبها العمال ليستريحوا فيها
ويستظلوا من الشمس .

الوقت : منتصف النهار من يوم ١٤ يونية
سنة ١٨٠٠

(يرفع الستار فنرى مينو وعلى الرشيدى جالسين
على الأرض تحت الخيمة وهما يدخنان الترجيلة وأحد
العمال يمونها لهما بالجمر) .

مينو	: متى تفرغون يا عبده من هذه الترميمات ؟
عبده	: بعد شهر إن شاء الله .
مينو	: بعد شهر ! هذا كثير .
عبده	: البيت كدنا نفرغ من ترميمه ، ولكن يبقى علينا بناء السور كله من جديد .
مينو	: أنت على هؤلاء العمال كلهم ؟

عبده : نعم .. المهندس بروتان عيننى مشرفا عليهم . اسمح لى .
سأرى ماذا يصنعون هناك .

مينو : تفضل .

الرشيدى : لا تذهب بعيدا يا عبده لتسمعنا إذا احتجنا إليك .

عبده : لن أذهب بعيدا . سأسمعك إذا ناديتنى . (ينسحب) .

الرشيدى : (يتلفت حوله) لن تقيم فى هذا البيت إذن يا سيدى
الجنرال إلا فى ١٤ يوليه .

مينو : ١٤ يوليه ؟

الرشيدى : بعد شهر من اليوم . نحن اليوم فى ١٤ يونيه .

مينو : هذا إذا نجح الرجل فى مهمته .

الرشيدى : سينجح بإذن الله .

مينو : قلت لى مرة إنه شاب ضعيف البنية ضئيل الحجم .

الرشيدى : لكنه قوى القلب بالإيمان .

مينو : أوافق أنت من ذلك ؟

الرشيدى : كل الثقة . ولا سيما بعد ما صعدت معه إلى المقطم

ورأيت منه ما رأيت .

مينو : ماذا رأيت منه ؟

الرشيدى : أظننى قد حدثتك به من قبل .

مينو : ما أذكر أنك حدثتنى بشيء عن المقطم .

الرشيدى : عجباً ! يخيل لى أننى فعلت .

مينو : كلا .. أنت واهم .. ما خطبك ؟

- الرشيدي : والله لا أدري ما خطبي ؟ لا بد أن عقلی أصابه شيء .
- مينو : هذا من التوتر . أنا أيضا عندی شيء مما عندك .
- الرشيدي : اليوم إن شاء الله ينتهى كل شيء .
- مينو : حدثنى عن المقطم .
- الرشيدي : صحبتہ ذات ليلة فصعد بى إلى مسجد مولانا الشيخ عمر بن الفارض فصلينا العشاء ، ثم بات يتهدج طول الليل حتى الفجر وهو يدعو الله ويكئ ويقول : رب هب لى قوة لأقتل هذا الجبار العنيد وأنقذ المسلمين منه
- مينو : وبقيت أنت ساهرا طول الليل ؟
- الرشيدي : لا .. غلبتنى عيني فنمت وصحوت عند الفجر فوجدته قائما على حاله ، فأدركت أنه ما من قوة فى الأرض تستطيع أن تقف فى سبيله .
- مينو : حقا هذا حديث عجيب . (يسمع حركة فيضطرب) ناد عبده ليحضر لنا الجمر .
- الرشيدي : (مناديا) عبده .. يا عبده .
- عبده : (صوته) نعم .
- الرشيدي : الجمر للنارجيلة .
- عبده : (صوته) حاضر .
- الرشيدي : الشقراء يا سيدى الجنرال .
- مينو : انتظر حتى أداعبها قليلا .
- الرشيدي : لا يصح يا سيدى الجنرال .

- مينو : من باب التسلية فقط .
- فرانسواز : أنت تعرف لماذا ؟
- مينو : أنت لا تعرفين .
- (تصعد فرانسواز إلى الرواق فتستقبلها بلانش وزينب) .
- فرانسواز : (تظهر) جنرال مينو . ماذا تصنع هنا ؟
- مينو : كما ترين . أنفث أنفاس الحب .
- فرانسواز : لمن ؟
- مينو : لمن ؟ إلا لشقراؤى الجميلة . تفضلى . اجلسى .
- فرانسواز : أين ؟ على الأرض ؟
- مينو : على حجرى إن شئت .
- فرانسواز : ويقولون عليك إنك أسلمت .
- مينو : من قال لك إن الإسلام يمنع من تذوق فى الحسن وإكرامه ؟
- فرانسواز : ألا تخاف من زوجتك العربية أن تضربنى وتضربك ؟
- مينو : اطمئنى . هذا أخوها يحرسنا . (يضحك الثلاثة) .
- فرانسواز : أنا صاعدة .
- مينو : انتظرى .
- فرانسواز : ماذا تريد ؟
- مينو : خبرينى لماذا أنت شقراء وشقيقتك سمراء ؟
- فرانسواز : أوه .. قد أخبرتك غير مرة . أمنا سمراء وأبونا أشقر .

- مينو : وأين شقيقتك .
- فرانسواز : ذهبت إلى مسكن القائد العام في الجزيرة . اليوم نوبتها هي .
- مينو : وتذهب إحداكما كل يوم إلى الجزيرة ؟
- فرانسواز : نعم إلى أن ينتهى ترميم هذا البيت .
- مينو : وبعد ترميمه ؟
- فرانسواز : ستجىء معنا .
- مينو : وترضين يومئذ عني ؟
- فرانسواز : جنرال مينو .
- مينو : اسمعى يا فرانسواز . لا حاجة بى إلى السمراء فحسبى زيدة زوجتى وأنا تعوزنى الشقراء فقط .
- فرانسواز : كلا .. ابحث لك عن شقراء غيرى .
- مينو : لماذا ؟
- فرانسواز : أنت تعرف لماذا ؟
- مينو : أنت لا تعرفين ؟
- (تصعد فرانسواز إلى الرواق فتستقبلها بلانش وزينب) .
- بلانش : أهلا وسهلا كنا ننسق أثاث البيت فى الداخل .
- زينب : هل تحبين أن تساعدينا ؟
- فرانسواز : بكل سرور . (ينسحب داخل البهو) .
- الرشيدى : هذا محبى الدين . ماذا جاء به اليوم ؟

- مينو : لا شأن لك بمحبي الدين . ابتعد عن طريقه خيرا لك .
- الرشيدى : كيف وهو ينافسنى فى حب زينب
- مينو : وابتعد أيضا عن زينب .
- الرشيدى : كيف وأنا أعشقها ؟
- مينو : اعشق لك واحدة أخرى .
- الرشيدى : قلبى لا يعشق غيرها .
- مينو : لا تجعل محبى الدين غريمك فيتعقب حركاتك ، فإنى أرى فى عينيه شكا كلما نظر إلى أو نظر إليك ..
- (يظهر محبى الدين فيومئذ بالتحية لمينو والرشيدى ويصعد إلى الرواق حيث تستقبله زينب) .
- محبى الدين : زينب . ماذا يصنع هذا الرشيدى تحت ؟
- زينب : أظنه يدخن النرجيلة مع زوج أخته .
- محبى الدين : هل لاحقك اليوم بغزله السخيف ؟
- زينب : وما أهمية ذلك يا محبى ؟
- محبى الدين : لا أكتملك يا زينب أننى بدأت أغار عليك منه .
- زينب : أجننت يا محبى ؟ ما هذا السخف ؟
- محبى الدين : لقد بلغنى أنه خطبك من أهلك .
- زينب : ليفعل ما بدا له فأنا ولىة أمرى .
- محبى الدين : فى وسعك أن تقطعى كل هذا بكلمة صغيرة منك .
- زينب : ما خطبك يا ابن عمى .. أين ذهب حلمك واتزانك ؟

— ٤٠ —

- محيى الدين : لم يبق لى حلم ولا اتران .
زينب : أنت إذن لا تحبنى .
محيى الدين : إن لم يكن هذا حبا .. فكيف يكون الحب ؟
زينب : لو كنت تحبنى حقا لعمك ما همنى وشغلك ما شغل
بالى .
محيى الدين : وهل بقى لى من شغل غير ذلك ؟
زينب : فائبت إذن على حالك .
محيى الدين : إلى متى .
زينب : إلى أن تنكشف عن بلادنا وأمتنا هذه الغمم المتلاحقة .
محيى الدين : وأنى لها أن تنكشف ؟
زينب : إذا حققنا ذلك الهدف الكبير .
محيى الدين : إنشاء جيش الشعب ؟
زينب : نعم .
محيى الدين : سيطول انتظارنا إذن يا زينب .
زينب : فلنتظره فإنه أمر يستحق الانتظار .
محيى الدين : لكن العمر لا ينتظر .
زينب : نحن بعد فى مقتبل الشباب .
محيى الدين : والشباب نفسه لا ينتظر .
زينب : واجبنا يا محيى الدين ليس لنا أن نتخلى عنه .
محيى الدين : وحقنا فى الحياة بل حق الحياة علينا يا زينب ، هل لنا أن
ننكره ؟

— ٤١ —

- زینب : نحن لا ننكر حق الحياة بل ننشد الحياة الأسمى .
- محمی الدین : تلك نهاية الحياة .
- زینب : بل بدايتها .
- محمی الدین : الحياة الأسمى لا تكون إلا هناك في الآخرة .
- زینب : بل تكون أيضا هنا في هذه الدنيا .
- محمی الدین : هيهات !
- زینب : قد حققها لنا آباؤنا من قبل . حياة العزة والكرامة والحق والعدل .
- محمی الدین : (كأنه يسمع حسا من بعيد) كليبر .
- زینب : أجل . (يتحركان إلى أقصى المسرح) لا بد أن نكلمه اليوم .
- محمی الدین : لا خير يرجى منه .
- زینب : لا ينبغي أن نئس .
- محمی الدین : إنه سيصدر أمره اليوم بإعدام البشتيلي .
- زینب : هذه فرصة طيبة لنناقشه في القضية من جديد .
- (يتركز الضوء على الخيمة ومينو والرشيدي يدخلان في انسجام وإذا صوت غليظ يسمع فجأة فيهمان واقفين في حركة لا شعورية) .
- الصوت : قفوا، قفوا في احترام لموكب القائد العام .
- مينو : اللعنة . ما لنا وقفنا ؟
- الرشيدي : من الرهبة .

- مينو : أنا جنرال مثله .
- الرشيدى : دعنا نجلس ثانية .
- مينو : كلا . قد رأنا كليب البر .
- الرشيدى : كليب البر !
- مينو : هذا اسمه العربى .
- (يظهر كليبر ماشيا فى شموخ ومعه فرديه والمهندس بروتان فيومئ بالتحية لمينو فى غير احتفال ، ثم يصعد الثلاثة إلى الرواق حيث تستقبلهم بلانش وزينب ومحيى الدين وفرانسواز) .
- الرشيدى : أ رأيت إلى جبروته ؟
- مينو : صه . هذا الجبروت فى صالحنا لأنه سينفى عنا كل شبهة .
- الرشيدى : كليب البر . هذا اسم عربى حقا .
- مينو : أتدرى من سماه كذلك ؟
- الرشيدى : من ؟
- مينو : البشتيل .
- (يصعدان إلى الرواق فينضمآن إلى الآخرين ، ويجلس مينو قريبا من كليبر) .
- كليبر : أحضروا المجرم .
- (يظهر اثنان من الحرس ويسوقان مصطفى البشتيل وهو مكبل بالحديد حتى يقفا به أمام كليبر) .

- كليبر : أنت مصطفى البشتيلي ؟
- البشتيلي : نعم .
- كليبر : أين اختبأت طوال هذه المدة ؟
- البشتيلي : في مدينة القاهرة .
- كليبر : عند مَنْ من أهل القاهرة ؟
- البشتيلي : لست خائناً فأخبرك بأسماء من آوونى ؟
- كليبر : أرايت اليوم كيف لم تستطع أن تفك منى يا كلب ؟
- البشتيلي : أعترف يا سيدى أن حاسة الشم عندك أقوى .
- مينو : (تند منه ضحكة فيكتبها) معذرة يا سيدى الجنرال .
- هذا حشاش والحشاشون بازعون فى النكت المضحكة .
- كليبر : (ينظر شررا إليه ثم يلتفت إلى البشتيلي) أيها الوغد .
- البشتيلي : لا تغضب منى . هو الذى فسر لها هذا التفسير السخيف .
- مينو : لا تحاول أن تتنصل من هذا المعنى فقد صرحت به فى كتابك الذى وقع فى أيدينا ، إذ تقول فيه : كليب البر دعانا إلى الصلح فأبيننا .
- البشتيلي : أنا قلت إن كليبر .
- مينو : بل قلت إن كليب البر .
- البشتيلي : لعلى أخطأت فى كتابة اسمه يومذاك .
- مينو : كلا بل قصدت التصغير . كليب : أى كلب صغير .

البشتيلي : ما ذنبى أنا يا سيدى إذا كان هذا هو اسمك الذى سموك به

من قبل أن تجيء إلى مصر ؟

كليبر : كلب صغير . سترى الآن كيف يكون انتقامى .

البشتيلي : يا سيدى الجنرال قد انتقم منى ومن أهل بلدى بما فيه الكفاية .

كليبر : كلا ما رأيتم بعد شيئا .

البشتيلي : فى بولاق النار التهمت الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والقصور والدور وكل شيء .

كليبر : أنت كنت السبب . أنت الذى جلبت الخراب والدمار على بولاق .

البشتيلي : بل كان المالك والأتراك هم السبب فى كل ما حل بنا ، فقد خدعونا وأوهمونا أولا أنكم أنتم الذين نقضتم المعاهدة وأبيتم إلا البقاء فى البلاد ولذلك خرجتم لقتالهم فى عين شمس ، ثم أوهمونا ثانيا أنهم هزموكم فى الميدان وأقبلوا للقضاء على حاميتكم فى العاصمة .

كليبر : وصدقتم هذه الأكاذيب والأراجيف ؟

البشتيلي : صدقناها فى أول الأمر ، ولما بدأنا نكتشف الحقيقة كنتم

قد اتفقتم معهم علينا وباعونا لكم بعد ما أثارونا عليكم ، فاشتد غضبنا عليهم وأردنا أن ننتقم منهم فإذا أنتم تحمونهم منا وتحرقون بلدنا بالحطب الذى أرسله لكم مراد بك فى السفن ، وتدعوننا إلى التسليم فأبينا

- ذلك الذل المهين وآثرنا أن نموت كراما أجمعين .
- كليبر : لكنك آثرت أن تبقى بعدهم يا جبان .
- البشتيلي : آثرت أن أبقى لأقاتل الأتراك والمماليك وأقاتلكم .
- كليبر : فسأختار لك الآن أشنع ميتة .
- البشتيلي : افعل ما بدا لك فإنما هي ميتة واحدة .
- كليبر : (للحرس) احصوا من بقى من أهل بولاق ممن يعرفون هذا الرجل الأقرب فالأقرب ، ثم اجمعوهم في ميدان عام فمروهم أن يضربوه بعصيهم ونبايتهم حتى يموت .
- مينو : يا سيدى الجنرال هذه قسوة لا داعى إليها ، وستثير الناس عليك .
- كليبر : اسكت أنت .
- مينو : لقد كان سلفك العظيم بونابرت يكره أن يستفز مشاعر الناس .
- كليبر : اللعنة . دعنى من بونابرت . (للحرس) هيا خذوه .. نفذوا ما أمرتكم .
- الحرس : سمعوا وطاعة . (يسوقون البشتيلي حتى يخرجوا به) .
- فرديه : سيدى الجنرال لا أريد أن أناقشك فيما حكمت به على البشتيلي جزاء ما جنت يده ، ولكن الكلام الذى قاله ينطوى على كثير من الصدق والصراحة ، فعلىنا أن نتدبره لنفهم حقيقة ما حدث ذلك اليوم فنعالج الأمور على بصيرة . إن أهل القاهرة كانوا معذورين فيما حدث

فقد كنا نحن أنفسنا نصدق ذلك الإرجاف الذى أشاعه
نصوح باشا وجماعته حين دخلوا القاهرة .

مينو : هب أننا انهزمنا حقاً فى الميدان ، فهل يليق بأهل القاهرة

أن يثوروا على حاميتنا فيها إلا إذا كانوا متواطئين مع
الأتراك والمماليك على تسليمنا أسرى حرب للإنجليز ؟

فرديه : الأتراك والمماليك هم الذين تواطأوا مع الإنجليز على

ذلك . أما أهل البلاد فقد كانوا يكرهون أن يعودوا إلى
حكم الأتراك والمماليك لولا أننا نحن الذين أمضينا

عليهم ذلك وأبرمناه فى شروط المعاهدة .

كليبر : ما كان فى وسعنا إلا أن نبرم ذلك فى شروط المعاهدة لأن

مصر تعتبر ولاية عثمانية .

فرديه : إذن فليس لنا أن نلوم المصريين إذ ثاروا على حاميتنا ذلك

اليوم نزولاً على أمر العثمانيين الذين أوهموهم أننا انهزمنا
فى الميدان وأنهم كانوا هم المنتصرين .

مينو : ماذا يريد الجنرال منا أن نفعل ؟ أن نعتذر للمصريين عما

أصابهم منا فى الأرواح والأموال ؟

فرديه : كلا إن الاعتذار لا يفيدهم ولا يفيدنا شيئاً ، ولكن

علينا أن نحول دون وقوع ذلك مرة أخرى فى المستقبل .

كليبر : كيف ؟

فرديه : إذا نحن وافقنا على إنشاء جيش الشعب .

مينو : عجباً لك يا جنرال فرديه . لقد ثار المصريون علينا

وليس لديهم جيش ، فكيف إذا صار لهم جيش
مدرّب ؟

فرديه : لو كان لهم جيش مدرّب لما استطاع الأتراك والمماليك
أن يحملوهم على الثورة بنا ونحن نريد الجلاء عن
بلادهم .

مينو : لكننا قد عدلنا عن فكرة الجلاء وأذكرنا وجوب بقائنا في
هذه المستعمرة الجميلة .

فرديه : هذا رأيك أنت وليس رأينا ولا رأى القائد العام .
مينو : إن قائدنا الشجاع قد فتح القاهرة من جديد ، فلا يعقل
أن ينزل عن هذا الفتح العظيم الذى توجّه به هامة بأكاليل
من المجد والفخر .

فرديه : إن كنت تظن أن القائد العام قد غير رأيه فى الجلاء ،
فأنت مخطئ .

مينو : أنا واثق من ذلك .
كليبر : يا جنرال مينو . إنك تتجه بوجهك صوب الشرق وأنا
اتجه بوجهى صوب الغرب ، ولا يمكن أن نتفق فى هذا
الأمر أبدا .

مينو : يا لها من خسارة كبيرة على فرنسا إذا ضاعت منها هذه
المستعمرة الجميلة ، إذا احتلتها بعدنا دولة أوربية
أخرى .

فرديه : إنشاء جيش الشعب هو الضمان الوحيد دون هذا الخطر

- العتيد .
- كليبر : ضمان للمصريين ولكن خطر علينا .
- مينو : لا شك في ذلك .
- فرديه : بل ضمان لنا ولهم على السواء . إن هذا الجيش سيكون
مدينا لنا بوجوده ، فليس من المعقول أن يخوننا أو يغدر
بنا .
- كليبر : ليس في هذه البلاد معقول وغير معقول . يحاربونك
لأنك لا تريد أن تجلو عن بلادهم ، ويحاربونك لأنك
تريد أن تجلو عن بلادهم .
- فرديه : هذا كله سيزول إذا صار الأمر فيها إلى يد أهلها ، ولن
يتحقق ذلك إلا بإنشاء جيش الشعب .
- كليبر : كلا لا أستطيع أن أعتمد إلا على فرقة الأروام التى
اختبرناها اليوم في جزيرة الروضة .
- فرديه : هذه فرقة أجنبية .
- كليبر : وفرقة الجنرال يعقوب التى لا تقل عنها إخلاصا
وكفاية ؟
- فرديه : هذه تعمل على التفرقة بين المسلمين والمسيحيين في
البلاد ، وقد كان لها دور كبير في استفزاز المسلمين ذلك
اليوم حتى وقع بين الفريقين ما يؤسف له .
- مينو : أما أنا فأرى أن تحل هذه الفرق كلها لأن في وجودها
استفزازا للشعور أهل البلاد .

- كليبر : كلا لا غنى لنا عن هاتين الفرقتين ، بل سأنشئ فرقا
أخرى على هذا الغرار .
- مينو : إني أشفق عليك يا جنرال كليبر من سياسة التحدى
والجبروت التى تتبعها ، فمنذ أخدمت الثورة وأنت
تعاملهم بقسوة لا نظير لها .
- كليبر : لا سبيل إلى إخضاعهم إلا بهذه القسوة .
- مينو : ماذا تفيد من أمر الناس بالوقوف على أقدامهم فى الطريق
كلما مر موكبك ؟
- كليبر : لأستذلهم وأشعرهم بقوتى وجبروتى .
- مينو : وكيف تفرض عليهم غرامة قدرها اثنا عشر مليون
فرنك ؟ من أين لهم ذلك ؟
- كليبر : ليس يعينى أن أعرف من أين .
- مينو : يقبل المثل : إذا شئت أن تطاع فأمر بما يستطاع .
- كليبر : احتفظ بأمثالك هذه لنفسك .
- مينو : والسيد السادات الذى يعتقد فيه العامة وييجلونه ،
كيف تتحداه وتلزمه بدفع مائة وخمسين ألف ريال أى
ثمانمائة ألف فرنك ؟
- كليبر : هو الذى حرض الناس على الثورة .
- فرديه : ليس لدينا برهان على ذلك إلا ما زعمه لنا مراد بك ،
ومراد بك يكره السادات ويحقد عليه من قديم لأنه كان
يعارضه ويغلظ له فى الكلام فلا يعتد بشهادته .

مينو : حتى إن ثبت أنه كبير المحرضين على الثورة لا يصح أن يعامل تلك المعاملة المهينة ، حيث ينال على التراب ويتوسد بالحجر ويضرب بالعصى أمام زوجته وهي تبكى وتصيح .

كليبر : قد أمرناهم فنقلوا زوجته من عنده إلى بيت الشيخ الفيومي .

مينو : يغد ما أروها الويل وأشعلوا نيران الحقد في نفوس الناس عليك . هذا الرجل الذى كان يتحاشاه بوناوبرت العظيم .

كليبر : لا شأن لى بوناوبرت . مينو : ثم لم تكتف بذلك حتى تحذيت المسلمين تحديا صارخا . كيف منعتهم من ركوب البغال وأبحت ذلك للنصارى ؟ ما هذه التفرقة فى المعاملة ؟ ما هذا الظلم الواضح ؟ ألا تخشى يا جنرال كليبر على نفسك ؟

ألا تخشى علينا جميعا من انتقامهم الفظيع ؟ كليبر : هذه سياستى وأنا أعرف ماذا أصنع .

مينو : اشهدوا يا قوم أننى قد حذرت وأذرت وأدبت له واجب النصيحة .

(يدخل الجنرال داماس)

داماس : مدام فرديه . إلام تحبس القوم هنا عندك ؟ بلانش : كلا أنا ما حبستهم يا جنرال داماس ، ولكنهم كانوا

- يتحاورون في السياسة فأنساهم موعذك .
- داماس : ألم يذكرهم الجوع ؟ لعلك قدمت لهم شيئا فتعللوا به .
- بلانش : لا لم يذوقوا هنا شيئا غير الكلام .
- داماس : هلموا إذن فأتّموا حواركم على المائدة .
- مينو : كلا لا نريد كلاما في السياسة على المائدة .
- (ينهضون جميعا فيخرج كليبر وبروتان وداماس في المقدمة ، بينما ينتحى مينو بالرشيدى جانبا وينتحي الآخرون جانبا آخر وتقف فرانسواز وحدها) .
- مينو : ما رأيك فيما قلت لكليبر اليوم ؟
- الرشيدى : كلام رائع . تغطية جميلة .
- مينو : اذهب انت الآن إلى سبيلك .
- الرشيدى : إلى اللقاء (يخرج) .
- مينو : فرانسواز . تعالى معى .
- فرانسواز : أنا لست مدعوة .
- مينو : (يأخذ بيدها) أنت معى فى صحبتى . لن نفرق أبدا
- منذ اليوم . (يخرجان) .
- فرديه : ما رأيكم فيما قلته اليوم ؟
- زينب : بورك . لقد عبرت عما فى نفوسنا أحسن تعبير .
- محى الدين : وأحسن الدافع عن مشروع جيش الشعب .
- بلانش : وكنت يا عزيزى كأنك محام بارع .
- فرديه : للكلام بقية . يجب أن تعودا بعد الغداء لنواصل الحديث

مع الجنرال كليبر .. لن نتركه حتى يقتنع . إلى اللقاء
(يخرج هو وبلانش) .

زينب : أرأيت إلى خبث الجنرال مينو ؟ كان ينهائ عن القسوة
ليستفز الحاضرين من القسوة .

محيى الدين : أجل . إني لا أشك مطلقاً أنه هو والرشيدي يسعيان معا
في تدبير أمر مريب .

زينب : أنت لا تفكر إلا في الرشيدي .

محيى الدين : لا شك عندي أنه هو همزة الوصل بين مينو وبين ذلك
التاجر الإنجليزى فى رشيد .

(يخرجان)

(يظهر على الرشيدي فى الحى وحده وقد تنكر فى زى
أحد عمال البناء وهو يتلفت كأنه ينتظر قادما) .

الرشيدي : (يتمم) ترى ماذا أخره ؟ صلاة العصر فى الأزهر ؟
ماذا عليه لو ترك صلاته اليوم فى سبيل هذا الـ ... جهاد
فى سبيل الله . ها هو ذا .. الحمد لله .

(يبرز سليمان من خلال الأشجار)

سليمان : السلام عليكم .

الرشيدي : وعليكم السلام ورحمة الله .

سليمان : (يدخل الخيمة) ما عرفت فى هذا الزى إلا بصعوبة .

الرشيدي : رأيت أن أتكرر أفضل لى ذلك .

سليمان : أجل سيظنوننى صديقا لأحد عمال البناء الذين يعملون

— ٥٣ —

معنا . لكن أين هم الآن ؟

الرشيدى : سرحوهم بعد الظهر كعادتهم يوم السبت ، وهذا من حسن الحظ .

سليمان : بل من تدبير الله يا على .. إن الله عز وجل قد هيا لنا كل شىء ..

الرشيدى : صدقت يا سليمان هذه مشيئة الله .

سليمان : حدثنى الآن عن الخطبة . هل تغير منها شىء ؟

الرشيدى : لا .. كما هى . هم الآن يتغدون على مائدة الجنرال داماس .

سليمان : هناك فى ذلك البيت عند نهاية الحديقة ؟

الرشيدى : نعم .

سليمان : وبعد الغداء يعودون إلى هنا ؟

الرشيدى : نعم .

سليمان : كيف إذن يمكننى أن أصطاده وحده ؟

الرشيدى : لا تخف . سيجتهد صاحبى فى تدبير ذلك ما أمكنه .

سليمان : وفق الله صاحبك للخير .

الرشيدى : معك الخنجر ؟

سليمان : معى .

الرشيدى : أرنيه . (يخرج سليمان من بين ثيابه) هذا صغير .

سليمان : لكنه حاد قاطع .

الرشيدى : إنه ضخيم كبير .

- سليمان : الله أكبر يا على من كل كبير .
- الرشيدي : خبرني يا سليمان لماذا لم ترض أن تأخذ مني شيئا تستعين به ، وقد عرضت عليك ذلك أكثر من مرة ؟
- سليمان : لأنني لم أحتج إلى شيء .
- الرشيدي : إنك أخبرتني أن ياسين أغا أعطاك أربعين قرشا فقط عند سفرك من غزة .
- سليمان : نعم .
- الرشيدي : وقد صار لك اليوم شهر في القاهرة ، فمن أين تنفق على نفسك ؟
- سليمان : أظننت أني آخذ من أحد غيرك ؟ كلا يا أخي . إنني مقتصد قليل النفقة .
- الرشيدي : ما كان لك أن ترفض ما عرضته عليك .
- سليمان : ماذا أصنع به ؟
- الرشيدي : توسع به على نفسك وتتغذى جيدا لتقوى على هذا الوحش .
- سليمان : إن قوتي بالله يا رشيدي ، وليس بجسدي هذا الواهن .
- الرشيدي : كأن أحدا في القاهرة لم يطلع على سرك ؟
- سليمان : لا أحد إلا أربعة من زملائي المجاورين في الأزهر .
- الرشيدي : وى ! لقد أهلكتنا وأهلكك نفسك .
- سليمان : لا تخف . إنهم جميعا من أبناء غزة .
- الرشيدي : ولو .

- سليمان : أنا لم أخبرهم . كانوا يعلمون به من قبل .
- الرشيدي : من أين ؟
- سليمان : من ياسين أغا نفسه .
- الرشيدي : كيف ؟
- سليمان : أرسل إليهم كتابا من غرة ليشتروا معي في هذه المهمة .
- الرشيدي : في قتل ساري عسكر ؟
- سليمان : نعم .. إن لم أنجح أنا في قتله قام أحدهم بذلك ، ولكني سأنجح بإذن الله . إنهم أقوى مني جسدا ولكني أقوى منهم إيمانا . إنهم يخافون ويترددون .
- الرشيدي : وأنت لا تخاف شيئا ؟
- سليمان : ماذا أخاف ؟ أخاف من دخول الجنة ؟ أما الدنيا فحسبي منها أن سيكف الظلم عن والدي المسكين ويحسن معاملته إذا أنا قتلت هذا الطاغية .
- الرشيدي : أنت شرطت عليهم ذلك ؟
- سليمان : نعم وليتني ما فعلت .
- الرشيدي : لماذا ؟
- سليمان : أخشى أن يكون في ذلك ما يبط عمل . أردت أن أستفتي بعض العلماء في ذلك ولكني خشيت أن يكشفوا السر .
- الرشيدي : أتريد أن تسمع رأيي في هذه المسألة ؟
- سليمان : نعم .. أفتني يا أخي من فضلك .

الرشيدي : إنك أضفت إلى الجهاد في سبيل الله البر بوالدك ، فكيف يحبط الله عملك ؟

سليمان : (يقبل رأسه فرحا) أحسنت يا أخى .. الآن اطمأن قلبى . خبرنى يا أخى أوافق أنت أن صهرك عبد الله مينو هو الذى سيلي قيادتهم بعد الطاغية ؟

الرشيدي : لا شك فى ذلك فهو أكبر قوادهم سنا وأقدمهم فى الخدمة العسكرية ، ثم أنه قومندان العاصمة .

سليمان : وخلص هو فى إسلامه ؟

الرشيدي : فيم كل هذه الأسئلة ؟ هو على كل حال خير منى ومن كثير من المسلمين .

سليمان : لا تؤاخذنى .. أردت أن أزداد طمأنينة . خذ يا أخى إذا تكلمت .

(يخرج له بعض النقود) .

الرشيدي : ما هذا ؟

سليمان : الذى بقى معى من النقود .

الرشيدي : أنت أحوج إليه منى .

سليمان : أنت ستعيش بعدى . تصدق به إن شئت .

الرشيدي : ألا تبقيا معك عسى أن تنجو بعد المهمة .

سليمان : هيهات !

الرشيدي : لعلك تستطيع أن تهرب .

سليمان : كلا لا أريد أن أهرب .

- الرشيدي : لماذا ؟
- سليمان : لعلا يظن هؤلاء الكفرة أن إخواننا المصريين هم الذين فعلوها ، فينالهم من البطش والتنكيل فوق ما نالهم .
- الرشيدي : كأنك تريد أن تعترف .
- سليمان : لا تخف يا رشيدي فلن أعترف على أحد من المصريين أبدا .
- الرشيدي : وتعترف على غيرهم ؟
- سليمان : إذا اضطررت إلى ذلك .
- الرشيدي : لكن اعترافك على غير المصريين قد يفضي إلى كشفنا نحن .
- سليمان : ثق يا أخى أن الله سيلهمنى القوة والصبر .
- الرشيدي : هل تعرف رdstون ؟
- سليمان : من رdstون هذا ؟
- الرشيدي : تاجر إنجليزى كان يعمل فى رشيد .
- سليمان : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. أنا لا أعرف أحدا من هؤلاء الكفرة .
- الرشيدي : هذا رجل موال للعثمانيين .
- سليمان : لأن قومه الإنجليز تحالفوا مع العثمانيين .
- الرشيدي : أجل .
- سليمان : لعنة الله عليهم أجمعين . هؤلاء الكفار الأجانب كلهم سواء . كلهم أعداء للمسلمين وبلاد المسلمين .

- الفرنسييس والإنجليز وغيرهم .
- الرشيدى : وى ! هذا صاحبى قد خرج من الوليمة . استعد
- يا سليمان . اختف بين تلك الأشجار .
- سليمان : (ينهض) ادع لى بالتوفيق يا على .
- الرشيدى : وفقك الله وأيدك بروح من عنده .
- (يختفى سليمان ويختفى الرشيدى أيضا ، ولكنه يظهر بعد قليل وقد عاد إلى زيه الأصلي)
- (يظهر الجنرال مينو ومعه فرانسواز يتأبط ذراعها)
- مينو : أنت هنا يا رشيدى ؟
- الرشيدى : فى انتظاركم . ماذا أصنع ؟ لست مدعوا إلى الوليمة
- فتغديت فى السوق ثم عدت .
- (يظهر فردييه وبلانش)
- بلانش : اصعدوا يا سادة ماذا تنتظرون ؟
- مينو : بعدكم .. أنتم أصحابا البيت .
- بلانش : عفوا . البيت ليس بيتنا . هذا مقر القيادة العامة .
- مينو : أنتم المشرفان عليه .
- بلانش : ريثما يتم ترميمه . تفضلى يا فرانسواز .
- (تصعد ومعه فرانسواز)
- فردييه : تفضلوا (يصعد ومعه مينو والرشيدى) .
- (يخرج فردييه وبلانش إلى داخل البهو . ويتهامس
- مينو والرشيدى فى ناحية ثم تظهر زينب فيتصدى لها

الرشيدى ، ويتجه مينو ناحية فرانسواز ليجلس معها
على مقعدين متجاورين) .

الرشيدى : زينب .

زينب : (بغير اكتراث) ماذا تريد ؟

الرشيدى : نظرة منك تسعد قلبى .

زينب : وأنا أريد منك معروفا .

الرشيدى : على العين والرأس . اقترحى يا حبيبتى ما تشائين .

زينب : أن تتركنى وشأنى .

الرشيدى : لقد خطبتك إلى أبلك فوافق .

زينب : صحيح ؟ إنى أهنتك .

الرشيدى : لكن بقى أن توافقى أنت .

زينب : هذا ما لا سبيل إليه .

الرشيدى : من أجل بونابرت أم من أجل محبى الدين ؟

زينب : بل من أجلك أنت .

الرشيدى : ماذا يعينى عندك ؟

زينب : ماذا لا يعيبك عندى ؟

الرشيدى : سوف تندمين يا زينب .

(يظهر محبى الدين)

الرشيدى : سترين .

(يحاول ستر هزيمته بالانضمام إلى مينو وفرانسواز)

(تقضى زينب إلى محبى الدين فيقفان فى ركن)

يتهامسان) .

مينو : (مازحا كأثما ليتغلب على القلق الخفى المسيطر عليه)
اسمع يا صهرى العزيز . لا تحاول أن تسرق منى بلانش كما
حاولت أن تسرق زينب من محبى الدين .

الرشيدى : (يجاريه فى المزاح لنفس الغرض) هذه ليست لى ولا
لك . هذه للقائد العام .

مينو : بل هى منذ اليوم لى . أليس كذلك يا شقراى الحلوة ؟
فرانسواز : ما خطبك يا جنرال مينو ؟ أنسيت أننى متزوجة ؟
مينو : صحيح . أنت لزوجك أولا ثم لى .

(يعود فردييه وبلانش فينضممان إلى محبى الدين
وزينب حيث يتحادثون)
(تسمع صيحة مزعجة من جانب الحديقة يرتج لها
السامعون) .

الصيحة : إلى أيها الحارس . إلى أيها الحارس .
بلانش : هذا صوت الجنرال كليبر .

مينو : (يتصنع الهدوء والتجاهل) ماذا يريد من الحارس ؟
سليمان : (صوته) خذها منى يا عدو الله .
كليبر : عليكم بالجرم . القاتل .

(ينطلق فردييه ومحبى الدين خارجين)
سليمان : (صوته) وخذ أنت أيضا .
بروتان : (صوته) آى . اقبضوا على القاتل .

— ٦١ —

مينو : هذا صوت بروتان .

(ينطلق هو والرشيدي خارجين) .

سليمان : (بأعلى صوته) أنا سليمان الحلبي . قتلت كليبر .

جئت من حلب . وقتلت كليبر . أنا سليمان الحلبي .

(تقف النسوة الثلاث كأنما شلت حركتهن من

الرعب) .

(يدق النفير العام وتتجاوب أصداؤه في كل

مكان) .

(ستار)

الفصل الثالث

المنظر : نفس المنظر كما في الفصل الأول
(يرفع الستار عن زبيدة وعندها زينب)

- زبيدة : كلا يا زينب لقد ضقت ذرعاً به .
زينب : يجب أن تصبري يا زبيدة .
زبيدة : لقد صبرت حتى عيل صبري . ألا ترين كيف أصار
البيت إلى معرض للجوارى من كل لون .
زينب : تغارين عليه ؟
زبيدة : كلا بل أشمئز من سلوكه .
زينب : لا تنسى يا أختي أن هذا حال الأزواج عندنا إذا صاروا
من ذوى الغنى واليسار . حتى علماؤنا وشيوخنا
يفعلون ذلك .
زبيدة : لكنه ليس من رجالنا ولم ينشأ عندنا .
زينب : أراد أن يتشبه بهم ويتطبع بطباعهم . احمدي الله على أنه
اقتصر على الجوارى ولم يتزوج عليك .
زبيدة : أراك تدافعين عنه .
زينب : لا يصح أن نلومه هو وحده . يجب أن نصلح هذا النظام

كله من أساسه حتى يكون للمرأة عندنا حقوقها مثل الرجل .

زبيدة : أنا لا أريد أن أكون مثله . أريد فقط أن يحترم شعورى .

زينب : لن يحترم شعورك أبدا ما لم تكونى مثله .

زبيدة : هذا طلب بعيد المنال يا زينب .

زينب : علينا أن نطالب به فإن لم يتحقق فى جيلنا هذا ففى الأجيال القادمة .

زبيدة : وما شأنى أنا بالأجيال القادمة ؟

زينب : لا يستحق أن يعيش فى الحاضر من لا يهتم بالمستقبل .

زبيدة : وكيف يهتم بالمستقبل من يستغرقه همّ الحاضر ؟

ألا ترين ما أنا فيه ؟ لقد بليت بهذا الرجل بلاء شغلنى عن كل شىء .

زينب : هل أكرهك أحد على الزواج منه ؟

زبيدة : لا .

زينب : ألم تقبله بمحض إرادتك ؟

زبيدة : بلى .

زينب : فتحملى تبعة اختيارك بكل شجاعة وصبر .

زبيدة : لكنى خدعت فيه .

زينب : هو اختيارك على كل حال .

زبيدة : هبى صبرت على جواريه . فكيف أصبر على خليلته

فرانسواز ؟

- زينب : هذا دأب هؤلاء القوم . قلما يخلو أحدهم من خليلته .
- زيدة : إلى جنب زوجته ؟
- زينب : نعم . لقد تزوجنى بونابرت وكانت خليلته مدام
فوريه .
- زيدة : لكن بونابرت لم يتخذ الجوارى والسرارى . أما هذا
فقد جمع عيوب رجالنا إلى عيوب رجالهم .
- زينب : من حقلك على كل حال أن تطرديها من بيتك فأنت
صاحبة البيت .
- زيدة : قد فعلت فغضب منى وهاجرنى .
- زينب : تمسكى بحقلك ولا تبالى بغضبه .
- زيدة : لكنه صار يتصل بها خارج البيت .
- زينب : اخرجى معه ورافقيه أينما ذهب .
- زيدة : هذا يصحبها إلى ملهى التيفولى .
- زينب : اصحبيه إلى الملهى .
- زيدة : والحجاب .
- زينب : اخلعيه عنك .
- زيدة : كلا يا زينب .. لا أستطيع .
- زينب : ماذا يمنعك ؟
- زيدة : خوف الملامة .
- زينب : لن يلومك أحد . أنت زوج القائد المسلم وهو معك .
- زيدة : وأهل يا زينب وأقاربى ؟

- زينب : ما شأنهم بك ؟
- زيدة : سيعتبرون ذلك فضيحة لهم وعارا عليهم
- زينب : لا تبالي بهم فلن يقدروا أن يمسوك بسوء .
- زيدة : كلا لا أستطيع يا زينب ، لا أستطيع .
- زينب : إذن فاصبري على حالك وتجاهلي ما يكون من زوجك خارج البيت .
- زيدة : كيف أتجاهل شيئا أنا على يقين منه ؟
- زينب : لكي تعيشي في طمأنينة وسلام .
- زيدة : لا سلام ولا طمأنينة إلا إذا طلقني .
- زينب : بعد ما صار لك ابن منه ؟
- زيدة : لا بهم .
- زينب : وإذا أخذه منك أتصبرين ؟
- زيدة : كلا لن أدعه يأخذ مني سليمان أبدا .
- زينب : لن تقدرى أن تمنعيه .
- زيدة : يا ليتني ما تزوجته .
- زينب : قد تزوجته وانتهى الأمر .
- زيدة : ما كنت أعلم أنه بهذا السوء .
- زينب : في وسعك أن تجدى فيه خيرا فتشعري بالرضا ، إذا ظفرت منه بشيء في خدمة بلادك .
- زيدة : تعين إنشاء جيش الشعب ؟
- زينب : نعم .

- زبيدة : ما خطبك يا أختى ؟ ألم أقل لك مرارا إنه لا يقبل هذه
الفكرة أبدا ويعدّها خطرا عليه وعلى جيشه ؟
- زينب : حاول مرة أخرى . قولى له إن هذا الجيش سيكون
سياجا له دون هجوم الإنجليز من الشمال وغارات
العثمانيين من الشرق .
- صوت : (من الخارج) زبيدة . زبيدة .
- زبيدة : نعم . هذا أخى .
- الرشيدى : هل عندك أحد ؟
- زبيدة : عندى زينب البكرى .
- الرشيدى : أنعم وأكرم . (يدخل) أهلا وسهلا بالجمال
والكمال . أى حظ سعيد ساقنى اليوم إلى بيتك
يا زبيدة !
- زبيدة : (فى شيء من الضيق) يا على يجب أن تعلم أن زينب
صديقتى وأن ما يغضبها يغضبنى .
- الرشيدى : سبحان الله وهل قلت شيئا يغضب ؟
- زبيدة : هذا الإلحاح عليها بالزواج بعدما رفضتكم مائة مرة .
- الرشيدى : ما يدريك يا أختى لعلها ترقى لى فى المرة الواحدة بعد
المائة . أليس كذلك يا زينب ؟
- زبيدة : لا تردى . أنا التى سأتولى الرد عليه .
- الرشيدى : سبحان الله . أنت لست وكيلتها يا زبيدة .
- زبيدة : أنا أكثر من ذلك . أنا صديقتها وأختها الكبرى .

- الرشيدى : وأنا أخوك الأصغر .
- زبيدة : لا تتعب نفسك . إنها مخطوبة لابن عمها محبى الدين .
- الرشيدى : لكنى خطبتها من أبيها ومن أمها فرحبا بى ، ولم يذكر
أحد منهما قصتها مع محبى الدين .
- زبيدة : أنت تعلم أن العلاقة بينها وبين أبويها سيئة .
- الرشيدى : بسبب سفورها وخروجها على التقاليد .
- زبيدة : نعم .
- الرشيدى : فقد تعهدت لهما إذا تزوجتها أن أعيدها إلى ما كانت
عليه .
- زبيدة : إلى الحجاب و حياة الحريم ؟ .
- الرشيدى : نعم .. لقد أصبحت اليوم عضوا فى الديوان ، ففى
وسعى أن أسكنها قصرا خيرا من قصرك هذا وعندها
الخدم والحشم .
- زبيدة : ما أصغر عقلك . أوتظن أن هذا هو ما تريده زينب ؟
- الرشيدى : فلتخبرنى ماذا تريد وأنا أحقق لها ما تريد .
- زينب : أصادق أنت فيما تقول ؟
- الرشيدى : إى والله يا زينب والمصحف الشريف .
- زينب : اتركنى إذن وشأنى فلا أنت تصلح لى ولا أنا أصلح
لك .

(تدخل إحدى الجوارى)

الجارية : السيد محبى الدين . أتى يسأل عن ابنة عمه .

- زبيدة : قولى له يتفضل . (تخرج الجارية) .
- الرشيدى : لأخطبها من محبى الدين نفسه .
- زبيدة : لا تكن أحمق . (تنسحب إلى الداخل) .
- الرشيدى : إن لم تنفع الحكمة فربما تنفع الحماقة .
- (يدخل محبى الدين)
- زبيدة : (صوتها من وراء حجاب) مرحبا بك يا سيدى محبى الدين . أنت على الرحب والسعة .
- محبى الدين : شكرا لك يا سيدة زبيدة . معذرة يا سيد على ، هل أستطيع أن أكلم ابنة عمى على انفراد ؟
- زبيدة : (صوتها) تعال يا على . اتركها وحدها .
- الرشيدى : بعد أن يسمع منى كلمة واحدة .
- محبى الدين : هات .
- الرشيدى : يا سيد محبى الدين لقد خطبت زينب من أبيها فقبل ، ولكنها هى لم تستجب لرأيه . فزوجنى أنت إياها فأنت وليها الذى تسمع رأيه .
- محبى الدين : يا سيد على إن زينب حرة لا سلطان لأحد عليها ، وهاهى ذى أمامك فكلمها أنت بنفسك . .
- الرشيدى : بل تريدها أنت لنفسك ، وسواء لديك أن تسعد عندى أو تشقى عندك .
- محبى الدين : (يتجملد) ساعك الله ! إنها مشغولة عن الزواج بما هو أهم عندها من الزواج ، ولولا ذلك لتزوجتها أنا من

- زمان .
- الرشيدى : كلا أنت لا تصلح لها إذ أخذها بونابرت منك دون أن تحتج على ذلك . أما أنا فإني سأصونها ، ولو عاد بونابرت وأرادها مرة ثانية لقاتلته دونها حتى أموت .
- زينب : هذه سماجة لا تطاق ، والله لولا مكان أختك زبيدة عندي لفضحتك .
- زبيدة : (صوتها) يا على اتركها خيرا لك .
- الرشيدى : قالت إنها ستفضحنى . أريد أن أعرف كيف تفضحنى .
- زبيدة : وأنا سأشهد عليك .
- زينب : خبرنى أين ذهب ردستون ؟
- الرشيدى : من ردستون ؟
- زينب : صديقك التاجر الإنجليزى فى رشيد .
- الرشيدى : ما يدرينى أين هو ؟
- زينب : لعله يعمل الآن جاسوسا للجنود الإنجليزية التى تغزو الإسكندرية .
- الرشيدى : أنا لا أعرف عنه شيئا .
- زينب : يجب أن تسأل عن صديقك الحميم .
- الرشيدى : ماذا أصنع به ؟ لقد كان صديقى فيما مضى حين كنا فى رشيد ، أما اليوم فلا صلة بينى وبينه .
- زينب : هو الآن موجود فى القاهرة . ألا تحب أن تلتقاه ؟

- الرشيدي : كلا شأن لي به .
- (يسمع صوت الجنرال مينو قادمًا من الخارج فينسل
الرشيدي خارجًا من الباب الخلفي كأنه لا يريد أن
يراه) .
- زينب : (بصوت خافض) رأييت يا محيي الدين ؟ هذه قرينة
جديدة .
- محيي الدين : بعد البرهان الواضح .
- فرانسواز : (صوتها) أخيرا عدت إلى مقر القيادة العامة .
- مينو : (صوته) صه .
- زبيدة : (صوتها) أجمت بها مرة ثانية يا عبد الله مينو ؟
- (تنسحب زينب ومحيي الدين إلى الجانب الأقصى من
الرواق حيث لا يراها أحدهما على المسرح) .
- (يدخل مينو وفرانسواز من جانب وتدخل زبيدة من
جانب آخر) .
- زبيدة : يا هذا ماذا جاء بك ؟ ألم أمنعك من دخول بيتي ؟
- فرانسواز : هذا ليس بيتك . هذا بيت قائدنا العام الجنرال مينو .
- زبيدة : يرضيك يا سيدي أن تتحداني هكذا في بيتي ؟ هذه الأفاقة .
- فرانسواز : الأفاقة ؟
- مينو : فرانسواز ، ما خطبك ؟ لماذا لا تقولين لها الحقيقة ؟
- لماذا لا تقولين لها إنك جئت اليوم لتوديعي ؟
- فرانسواز : إنها بادرتنى بالإساءة . هذه امرأة لا يمكن التفاهم معها .

- زبيدة : وأنا لا أحب أن أتفاهم معك .
- فرانسواز : أوفوار جنرال مينو .
- مينو : أوفوار فرانسواز .
- (تخرج فرانسواز)
- مينو : ما هذا الذى صنعت ؟ أين آداب اللياقة ؟
- زبيدة : آداب اللياقة لا تكون مع أمثالها .
- مينو : إنما جاءت اليوم لتودعنى وتنصرف .
- زبيدة : إلى متى يودعك الناس كل يوم وأنت لا تتحرك ؟
- مينو : (يستشيط غضبا) اللعنة . أنت أيضا صرت كلييرية ؟
- زبيدة : كلييرية ؟
- مينو : هذا ما يقوله الكلييريون عنى .
- زبيدة : هم إذن على حق . كان عليك أن تسارع بالسفر إلى الإسكندرية أول ما بلغك ظهور السفن الإنجليزية فى مياهها ، لا أن تتردد وتسوف من يوم إلى يوم .
- مينو : (يلتفت إلى حيث تقف زينب مع محبى الدين) زينب أنت هنا ؟ كل هذا منك ؟
- زينب : منى ؟ ما ذنبى أنا يا سيدى الجنرال ؟
- مينو : أنت التى علمتها كل هذا . ما كانت هكذا قبل أن تصادقك .
- زينب : يا جنرال مينو كان ينبغى أن تسر إذ نصحتك زوجتك .
- مينو : كلا لا حاجة لى إلى نصائحها ولا إلى نصائحك .

— ٧٢ —

مال للنساء وللسياسة ؟

زينب : أتوجه هذا السؤال إليّ ؟

مينو : نعم .

زينب : ما كنت لأقبل هذا السؤال حتى من والدى فكيف أقبله

منك ؟

مينو : لا تدخل إذن في شئوني .

زينب : هذه شئون بلدنا لا شئونك .

مينو : قد جعلنا للبلد ديوانا فهو الذى ينظر في شئونه .

زينب : الديوان الذى جعلت صهرك عضوا فيه ؟

مينو : نعم . لو كان حظك حسنا لما رفضت الزواج منه .

زينب : يا جنرال مينو لا أسمح لك أن تتدخل في شئوني الخاصة .

مينو : عجبا . تبيحين لنفسك ما لا تبيحين لغيرك .

زينب : يا جنرال مينو إني أكلمك في الشئون العامة لا في الشئون

الخاصة ، وذلك من حقى ومن واجبى .

زيدة : يا سيدى ألا تسمع أولا ما عندها ، ولك أن تقبل بعد

ذلك أو لا .

مينو : عندك شئ جديد ؟ هاتى .

زينب : قل له يا محبى الدين بنفسك .

(تسحب زيدة إلى حيث تقف وراء حجاب ويتقدم

محبى الدين مقتربا من مينو) .

محبى الدين : يا سيدى الجنرال لقد تبين الآن لماذا حرص الإنجليز على

نقض معاهدة العريش .

مينو : لماذا ؟

محيى الدين : ليتاح لهم بعد ذلك أن يحتلوا بلادنا مكانكم .

مينو : ما جئتني بجديد . هذا ما يردده الكليبريون .

محيى الدين : لا شأن لنا بالكليبريين . ولكن ألا تحب يا جنرال مينو أن

تهزم هؤلاء الإنجليز ، وتبطل كيدهم ؟

مينو : هذا ما أعمل من أجله .

محيى الدين : إنك ما ترددت حتى اليوم لملاقاتهم إلا أنك تخشى إذا

ما تركت القاهرة أن ينقض عليها العثمانيون من الشرق .

مينو : أجل هذا صحيح .

محيى الدين : فماذا ترى لو كفييناك نحن أمر العثمانيين لتفرغ جنودكم

جميعا لقتال الإنجليز بالساحل ؟

مينو : هيه .. لعلك تعنى تلك الفرق التى أطلقت عليها اسم

جيش الشعب ؟

محيى الدين : نعم .

مينو : كأنكما ما زلتما على صلة بها ؟

زينب : نعم .

مينو : ألم آمر بحل هذه الفرق من قبل ؟

زينب : فى وسعنا أن نجتمعها ولكن ليس فى وسعنا أن نحلها .

مينو : نهتمانى . والله لا يقر لى قرار حتى أفضى عليها فلا يبقى لها

وجود .

زبيدة : يا سيدى لم تركب رأسك ؟ ألا ترى اليوم أن بقاءها فى
مصلحتك ؟ إنها ستكفيك أمر الأتراك فلا يبقى أمامك
غير الإنجليز .

مينو : كلا لا أستعين على أعداء يأتوننا من الخارج بأعداء
ينبتون لنا من الداخل .

(يدخل فردييه وبلانش فيتبادلان التحية مع
الحاضرين ، وتدخل بلانش إلى حيث تقف زبيدة
خلف الحجاب) .

(يتهامس محبى الدين وزينب جانبا كأنهما يتفقان على
تدبير خطير) .

فردييه : جئنا نستودع منك يا جنرال مينو .

مينو : متى قررتما السفر ؟

فردييه : الساعة .

مينو : فى هذه الظروف الصعبة ؟

فردييه : فى سبيل العودة إلى الوطن يهون كل شيء .

مينو : هذه مخاطرة .

فردييه : والبقاء هنا أيضا مخاطرة .

مينو : أنت أيضا مع هؤلاء الكلييرين على ؟

فردييه : كلا لا شأن لى الآن بالسياسة . كل ما تريده بلانش وأنا

أن نصل إلى فرنسا بسلام .

مينو : ترافقكما السلامة .

- فردييه : فرقتى تتمنى لك النصر والتوفيق .
- مينو : أنت رجل كريم يا فردييه . ولن أنسى موقفك النبيل منى أبدا . انتظر حتى أحملك رسالة إلى القنصل الأول بونايرت . (يخرج) .
- (يدنو فردييه من محبى الدين وزينب وتدخل بلانش فتضم إليهم) .
- زينب : لم نستطيع أن نقنعه بخطة جيش الشعب .
- فردييه : قد قلت لكما إنه لن يرضى . هذا رجل يشك فينا نحن الفرنسيين فكيف يثق فى المصريين ؟
- بلانش : اسمعى يا زينب وأنت يا محبى الدين . لن ندعكما حتى تسافرا معنا . إن كنتما لا تريدان فرنسا فإلى أى بلد آخر فى أوروبا .
- زينب : شكرا لك يا مدام فردييه لا سبيل إلى ذلك .
- بلانش : فى بقائكما خطر عليكما ، وعليك أنت يا زينب خاصة .
- فردييه : أجل يا زينب . إن العامة لن يغفروا لك خروجك على تقاليدهم وسيتهمونك بأبشع التهم .
- بلانش : لقد أديتما ما عليكما لقومكما وبلاذكما ، ولن تقدرا أن تقدما أكثر مما قدمتما ، فانجوا بأنفسكما وعيشا مع الغائبين .
- زينب : ماذا ترى يا محبى الدين ؟

محيى الدين : اذهبي أنت معهما يا زينب ، وسأبقى أنا وأواصل الكفاح بالنيابة عنك .

زينب : كلا يا ابن عمى لن أتركك وحدك .

محيى الدين : الخطر عليك يا ابنة عمى أكبر من الخطر على .

زينب : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

(يعود مينو فيسلم لفرديه الرسالة)

فرديه : الوداع يا جنرال مينو .

مينو : الوداع .

فرديه : (لزينب ومحيى الدين) إلى أين ؟

زينب : سنشيعكما حتى المركب .

بلانش : وداعا يا زبيدة .

زبيدة : (صوتها) وداعا يا بلانش .

(يخرج الأربعة)

مينو : (ينظر إلى زبيدة مليا وهي كالغاضبة ثم يدنو منها)

زبيدة .

زبيدة : (لا تحيب) ...

مينو : أم سليمان .

زبيدة : ماذا تريد ؟

مينو : رضاك .

زبيدة : وهل أبقيت في قلبي موضعا للرضى ؟

مينو : من أجل هذه الحمقاء فرانسواز ؟

- زبيدة : لا يليق أن تجيء بها إلى البيت .
- مينو : أظنها لن تجيء إلى البيت مرة أخرى .
- زبيدة : وهؤلاء الجوارى اللاتي ملأت بهن البيت ؟
- مينو : لا يصح أن تعيش امرأتى دون جوارى يخدمنها .
- زبيدة : يخدمننى أم يخدمنك ؟
- مينو : يخدمننا معا . يقولون إن هارون الرشيد كان له ألف جارية .
- زبيدة : وهل أنت هارون الرشيد ؟
- مينو : سأكون أنا سلطان المسلمين يا زبيدة ، وستكونين أنت سلطانة .
- زبيدة : تذكر أن بونابرت قد طمع فى ذلك فلم ينجح .
- مينو : أنا أصلح لهذا المنصب منه . أنا من بيت عريق وزوجتى من بيت عريق ، وأنا أسلمت وهو ادعى الإسلام ولم يُسلم . ومن محاسن الصدف أن اسمك زبيدة بنت جعفر زوج هارون الرشيد .
- زبيدة : سبحان الله .. الأرض تتزلزل تحت قدميك وأنت تحلم هذه الأحلام .
- مينو : لا تصدقنى هذه الأراجيف . سوف ترين كيف ألقى بالإنجليز فى البحر وأشتت جميع العثمانيين ليموتوا فى الصحراء .
- زبيدة : هذه أحلام أخرى .

- مينو : زبيدة . لا تدعى زينب تفسدك على .
- زبيدة : وما شأنى فى هذا ؟
- مينو : إنها تحسدك . تذكرى أنها كانت تطمع أن تكون هى السلطانة .
- زبيدة : كان بونابرت يمنىها بذلك ، وقد ذهب بونابرت فنسيته ونسيت أحلامه .
- (يدخل الرشيدى يحمل معه صورة كاريكاتورية)
- مينو : ما هذا الذى بيدك ؟
- الرشيدى : (يضحك) هذه صورتك يا سيدى ممتطيا صهوة جواد .
- زبيدة : (تنظر وتضحك) والجواد فوق ظهر سلحفاة .
- الرشيدى : والسلحفاة تسير ببطء نحو الإنجليز .
- مينو : (فى غيظ من ضحكها) وهذه أنت وابنك سليمان راكبين على جمل .
- زبيدة : قاتلهم الله . حتى البرقع لم ينسوه . وما هذه يا ترى ؟
- مينو : هذه أوانى مطبخك .
- زبيدة : لكنها فى صورة مدافع
- مينو : ألم تفهمى ماذا يعنون ؟
- زبيدة : بلى فهمت الآن . يعنون أنها مدافعك .
- (تضحك ويضحك الرشيدى)
- مينو : (غاضبا) كفى ! من أين جئت بهذه الصورة ؟

- الرشيدي : اخذتها من أحد الجنود يا سيدى .. كانوا يتداولونها بينهم .
- مينو : (ينظر فى الصورة) مطبوعة فى مطبعة لوكورييه دى ليجبت . ويل لهم .
- الحاجب : (ينادى) يا حاجب .
- الحاجب : نعم يا سيدى الجنرال (يدخل)
- مينو : انطلق إلى جريدة لوكورييه دى ليجبت . قل لهم يحضروا رئيس التحرير والمصورين فى الحال .
- الحاجب : 'هنا يا سيدى الجنرال ؟
- مينو : نعم .
- (يخرج الحاجب ثم يعود)
- الحاجب : الجنرال رينييه يا سيدى والجنرال داماس والجنرال لانوس .
- مينو : اللعنة . ماذا يريدون ؟ قل لهم يدخلوا وانطلق أنت فى مهمتك .
- (يخرج الحاجب وتنسحب زبيدة إلى الداخل ثم يدخل الجنرالات الثلاثة) .
- الثلاثة : صباح الخير .
- مينو : صباح الخير ماذا تريدون .
- (يطبق الصورة ويناو لها للرشيدي)
- رينييه : أهذه الصورة الكاريكاتورية ؟

(يضحك ويضحك الآخرون)

- مينو : أين رأيتموها ؟
 رينييه : متداولة بأيدي الناس في كل مكان .
 مينو : هيه كأنكم من أجلها جئتم . من الذى رسمها منكم ؟
 الثلاثة : نحن لسنا رسامين .
 مينو : من الذى أوحى بالفكرة ؟
 لانوس : أنت .
 مينو : ماذا تعنى ؟
 لانوس : المعنى واضح .
 مينو : لو بقى لديكم شئ من كرامة الجندية لما سمحتم لرجالكم أن يتهكموا بقائدهم الأعلى على هذه الصورة المزرية .
 داماس : وهل أبقيت أنت لأحد شيئا من كرامة الجندية ؟
 مينو : يا إلهى .. ماذا فعلت حتى أستحق منكم هذه الكراهية ؟
 داماس : ألا تدري ماذا فعلت ؟ ألم تعزلنى من منصبى فى الجيش بغير محاكمة ؟
 مينو : لأنك اهتمتنى بأنى اشتريت فى قتل كليبر .
 داماس : أنا ما زلت حتى اليوم أتهمك ، فحاكمنى إن كنت واثقا فى براءتك .
 مينو : أنا لا أريد أن أثير فتنة فى الجيش من أجل تهمة باطلة ليس عليها دليل .

داماس : أكبر دليل عليها أنك ما زلت حتى اليوم تكره كليبر
وتنفر من ذكره ، وتحاول تلطيف سمعته وتضطهد
أصحابه .

مينو : بلى أصحابه هم الذين يضطهدوني ويأثمرون ضدى .
لأنوس : إنك لا تدع فرصة للإساءة إلى ذكرى كليبر إلا

انتهرتها ، حتى سميت ابنك سليمان على اسم قاتله .
مينو : يا قوم أنا سميت ابنى سليمان مراد ، ولم أسمه سليمان
الخلبي .

لأنوس : هل ضاقت الأسماء عليك فلم تجد غير هذا الاسم ؟
داماس : بل لقد بلغنا أنك تصرح بذلك في مجالسنا الخاصة ،
وتقول إن سليمان الخلبي يستحق أن يقام له تمثال بدلا
من الخازوق الذى وضع عليه .

مينو : هذا كذب وبهتان .
داماس : لا تحاول أن تخدعنا . إن أخبارك تصل إلينا أولا بأول .
مينو : قولوا ما شئتم فلن تستطيعوا أن تنكروا الحقيقة البازغة

بزوغ الشمس ، وهى أن كليبر إنما قتله غروره وصلفه
وتجبره على المصريين وتطاوله على كبرائهم وشيوخهم .
وطالما نصحته وحذرتة وأنذرتة فلم يستمع لنصحتى .
داماس : أنكرت عليه قسوته على السيد السادات إذ حبسه
وغرمه غرامة كبيرة . أليس كذلك ؟

مينو : نعم وأمورا أخرى كثيرة .
« مأساة زينب »

داماس : خبرني لماذا أبقيت السادات في سجنه بعدما صار الحكم إليك ؟

مينو : ليدفع ما بقى عليه من الغرامة .

داماس : لكنك كنت تنكر على كليبر تحميله تلك الغرامة .

مينو : لم أستطع أن أسقطها عنه لحاجتنا إلى المال .

داماس : ودفع الغرامة التي عليه ؟

مينو : نعم .

داماس : فلم أعدته إلى السجن مرة أخرى ؟

مينو : على سبيل الاحتياط لئلا يحرض الناس علينا في هذه الأيام العصية .

داماس : أنت إذن كاذب إذ تتحدث عن طغيان كليبر وجبروته وأنت تصنع مثله .

رينيه : دعونا يا قوم من هذا كله ولنتكلم فيما جئنا من أجله .

مينو : ماذا بقى عندكم من كلام ؟

رينيه : إلى متى نترك الجنرال فريان يدافع الإنجليز وحده في الإسكندرية ؟

لأنوس : ألم يستنجد بك مرة بعد مرة ؟

داماس : أما آن لك أن تتحرك بالجيش إليه ؟

مينو : هذا يطلب مني أن اتوجه بالجيش كله إلى الإسكندرية .

رينيه : هو على حق فيما طلب .

مينو : وأترك القاهرة بغير دفاع ليستولى عليها العثمانيون ؟

- رينيه : الخطر اليوم على الإسكندرية لا على القاهرة .
- مينو : القاهرة هى العاصمة فالخطر عليها أكبر .
- رينيه : لقد أضعت تسعة أيام وأنت تتوقع زحف العثمانيين من الشرق ، وتترك سفن الإنجليز تهاجم الإسكندرية ليلا ونهارا وتصلها نارا حامية .
- مينو : ما كنت أعلم أن العثمانيين سيتأخر زحفهم حتى اليوم .
- داماس : بلى أنت جبان . تريد أن تبقى هنا بالقاهرة لتكون بمأمن من أخطار القتال .
- مينو : كذبت .
- داماس : هذا دأبك فى كل حين . كل أفراد الجيش يعرفون ذلك .
- رينيه : (فى سخريه خفيه) لو كان قائدنا العام يخشى الموت لأسرع إلى الإسكندرية فرارا من الطاعون الذى انتشر فى القاهرة .
- مينو : أجل فهمه يا جنرال رينيه .
- داماس : أنت تخاف الإنجليز أكثر من الطاعون ، وتؤثر ميتة الكلاب على ميتة الأبطال .
- مينو : يا هذا بأى حق تكلمنى الآن وأنت معزول ؟
- داماس : أنا لا أعترف بهذا العزل . فليس لك أن تعزلى إلا بعد محاكمتى أمام مجلس عسكرى .
- (يدخل أحد الجنود فيؤدى التحية العسكرية ثم يناول مينو رسالة) .

- رينيه : من الإسكندرية ؟
 الجندي : نعم .
 مينو : (كالمضايق) انصرف الآن حتى أبعث لك (يفيض الرسالة ويتصفحها) .
 (يخرج الجندي)
 رينيه : من الجنرال فريان ؟
 مينو : نعم .
 رينيه : ماذا ينوي ؟
 مينو : (في اكتئاب) ينوي أنه لم يستطع أن يصد الإنجليز وأنهم نجحوا في إنزال قواتهم بالبر
 رينيه : ألم نقل لك ؟
 لانوس : ماذا أنت صانع الآن ؟
 داماس : (ساخرا) سيتحصن بجنوده في القاهرة حتى يمنع الإنجليز من دخولها .
 مينو : هذا كل ما تحسنونه في ساعة الجد .. السخرية .
 داماس : وماذا تنتظر منا بعد كل الذي فعلته غير السخرية ؟
 لانوس : أنت الذي مكنت الإنجليز من النزول .
 مينو : هكذا أنتم دائما معشر الكليبرين . تتصلون من التبعة التي عليكم وتلقونها على .
 داماس : وهذه التبعة أيضا نريد أن تلقى علينا ؟
 مينو : أوقد نسيتم معاهدة العريش ؟

- الثلاثة : ما بالها ؟
- مينو : هى التى جرأت الإنجليز علينا وأطمعتهم فى إخراجنا من هذه المستعمرة ، ليجعلوها مستعمرة لهم .
- لأنوس : تريد أن تقول إن كليبر هو المسئول ؟
- مينو : نعم .
- لأنوس : ولذلك لا تريد أن تواجههم اليوم أو تحاربهم حتى تكون التبعة كلها على كليبر ؟
- مينو : كلا . لأنوجهن إليهم وأقاتلهم .
- رينيه : متى ؟
- مينو : الليلة .
- داماس : وتترك العاصمة ؟
- مينو : (فى امتعاض) سأترك بها ألف جندى للدفاع عنها .
- لأنوس : بقيادة من ؟
- مينو : بقيادة الجنرال بليار . لا تلوتمونى . أنا لا أثق إلا فيه .
- لأنوس : أنا أفضل أن أقاتل الإنجليز معك .
- رينيه : وأنا كذلك .
- مينو : كلا يا جنرال رينيه . أنت تتوجه إلى بلبيس والصالحية .
- رينيه : ماذا أصنع فى بلبيس والصالحية .
- مينو : لتصد العثمانيين عن القاهرة .
- رينيه : أنت بحاجة إلى وجودى فى الإسكندرية .

- مينو : أنا بحاجة إلى وجودك فى بلبس والصالحية .
- رينيه : أنت إذن تريد إبعادى هناك لأنك لا تطيقنى .
- مينو : لقد مُررت بكم . لو أنى أرسلت غيرك إلى بلبس وأبقيتك معى لاعترضت أيضا على ذلك . لا شئ يرضيكم منى أبدا .
- رينيه : يا جنرال مينو أنت تعرف أن ما تقوله غير صحيح . إنى أطلب بوجود سائر القواد معك فى معارك الشمال لا بوجودى أنا وحدى .
- مينو : سائر القواد ؟
- رينيه : نعم .
- مينو : ومعهم فرقهم ؟
- رينيه : بالطبع .
- مينو : ونحلى الصعيد والمراكز الأخرى ؟
- رينيه : نعم لا يصح أن نبقىهم مبعثرين فى أرجاء البلاد وأنت بحاجة إليهم فى هذه المعارك الفاصلة .
- مينو : أتوافقانه على هذا الرأى ؟
- داماس : نعم .
- لأنوس : هذا هو الرأى السديد .
- مينو : كلا لن أخلى الصعيد والمراكز الأخرى أبدا . ما أراكم تبغون إلا أن تتم على يدى الهزيمة .
- رينيه : ماذا تقول ؟ أنبغى هزيمة يلحقنا عارها جميعا ؟

- مينو : لتؤكدوا بها انتصار كليبر في معركة عين شمس .
- لأنوس : كليبر . كليبر . ليس في ذهنك غير كليبر .
- داماس : هذيان القاتل باسم القتل .
- مينو : القاتل هو سليمان الحلبي .
- داماس : ليس هو وحده بل له شركاء كثيرون .
- مينو : (صائحا) كفى . أنا القائد العام . لا أريد أن يجادلني أحد أو يعصيني أحد . على أن أمر وعليكم أن تطيعوا .
- رينيه : التبعة إذن عليك أنت وحدك .
- مينو : أجل . التبعة علىّ وحدى .
- (تسمع ضوضاء . من الخارج من بعيد)
- الثلاثة : ما هذا ؟
- مينو : لعلهم جاءوا بالمصورين لأعاقبهم .
- داماس : أتعاقبهم على إعلان الحقيقة ؟
- مينو : ليتعلموا كيف يحترمون القائد العام .
- (يدخل الحاجب)
- الحاجب : يا سيدى الجنرال لم أجد أحدا في دار الجريدة لا رئيس التحرير ولا المصورين .
- مينو : أين ذهبوا ؟
- الحاجب : لا أحد يعلم .
- مينو : ألم تسأل من هناك ؟

- الحاجب : لا أحد هناك . الدار مقفلة .
- (تتعالى الضوضاء حتى تقترب)
- مينو : ما هذه الضوضاء إذن ؟
- الحاجب : لست أدرى يا سيدى الجنرال .
- مينو : اخرج فانظر . (يخرج الحاجب) .
- (تتضح أصوات الجماهير وهى تردد : الجاسوس . الجاسوس) .
- (يدخل محبى الدين وزينب فيدهش الحاضرون)
- زينب : أيها السادة قد قبضنا لكم على الجاسوس الإنجليزى ردستون .
- (يتغير وجه مينو . ويضطرب الرشيدى)
- رينيه : أين هو ؟
- زينب : أيها الرجال ادخلوا به .
- (يدخل ثلاثة من العميان من أتباع الجوسقى يسوقون ردستون وهو مكتف ويدفعونه إلى وسط المسرح ثم ينسلون خارجين كأنهم أشباح) .
- (يقترب الرشيدى من مينو ويناول مسدسا فى خفية) .
- مينو : أين وجدتموه ؟
- زينب : وجدوه عند القلعة يتجسس .
- ردستون : (يلحظ مينو يصبو المسدس نحوه) كلا لا تقتلنى

— ٨٩ —

يا جنرال مينو .
لأنوس : لا تقتله يا جنرال .
رينيه : انتظر حتى نستنطقه .
مينو : (يفرغ ثلاث رصاصات في صدره) ليس للجاسوس
عندنا إلا الموت .
(يسقط رdstون ميتا على الأرض ويقع ارتباك في
المجلس وتتطلع زبيدة من خلف الحجاب . وينظر
بعضهم إلى بعض مبهوتين) .
داماس : الآن انكشف الغطاء . الآن اتضح كل شيء :

(ستار)

الفصل الرابع

في منزل والددة زينب بحى الجودرية .

جانب من الفناء الداخلى فى وسطه فسقية .

يظهر فى الجانب الأيمن من المسرح جزء من
الرواق الذى يحيط بالفناء . تمتد به أريكة مكسوة
باخمل عليها الوسائد والمساند . بابان أحدهما فى
أقصى المسرح يؤدى إلى داخل المنزل والآخر فى أدنى
المسرح يؤدى إلى الخارج .

الوقت : صباح يوم ١٤ يوليه سنة ١٨٠١

(عند رفع الستار نرى زينب فى الرواق وأمامها

أحد العميان) .

زينب : تكلم الآن يا حافظ لا أحد عندنا .

حافظ : اختطفنا البارحة ثلاثة من عساكر الإنجليز فى الجيزة

فقتلناهم .

زينب : عظيم . والجثث أين ألقيت بها ؟

حافظ : بقرب المعسكر العثمانى .

زينب : هلا ألقيتموها هذه المرة بقرب معسكر المماليك حتى

يتهمهم الإنجليز أيضا كما اتهموا الفرنسيين والعثمانيين من

قبل ؟

- حافظ : الواقع يا سيدتى أن الممالك لم يكونوا فى خطتنا .
- زينب : الممالك أهم لأن الصلات بينهم وبين الإنجليز أوثق .
- حافظ : فى المرة القادمة إن شاء الله .
- زينب : فى المرة القادمة ؟ .
- حافظ : نعم .
- زينب : وإذا وقع لى شىء يا حافظ .
- حافظ : كفى الله الشر .
- زينب : يجب أن نواجه الأمور بشجاعة .
- حافظ : سنسند الأمر إلى محبى الدين ابن عمك .
- زينب : أصبتم .
- حافظ : ليس عندنا غيره .
- زينب : أوصيكم به خيراً فهو شاب طيب ولا عيب فيه إلا رفته
- ولينه ودماثة أخلاقه . ليس فيه مضاء شيخكم
- الجوسقى ولا صرامته ولا دهاؤه ، ولكن ستجدون فيه
- الإخلاص والتواضع والصبر والإنسانية .
- حافظ : اطمئنى فسيجد منا كل احترام وطاعة .
- (يتحرك لينصرف فتشيعه زينب إلى الباب)
- زينب : خذ هذا الأم داود (تناوله كيساً من النقود) قل لها أنا
- فى انتظارها لتزورنى الساعة .
- حافظ : سمعا يا سيدتى (يخرج) .

(تدخل أم زينب)

أم زينب : زينب . ماذا كان الأعمى يقول لك ؟
زينب : لا شيء . أعطيته شيئا لأم داود وأمرته أن يدعوها
لزيارتنا .

أم زينب : والجثث ؟

زينب : سمعت يا أماه ؟

أم زينب : سمعت كل شيء .

زينب : فاكتمى عنا يا أماه .

أم زينب : كل هذا ولا تريد أن تهربى أو تختبئى منهم ؟

زينب : لا جدوى يا أماه . إنهم جميعا يطلبونى . الفرنسيون
والإنجليز والأتراك والمماليك ، حتى أبناء جلدتى
المصريون .

أم زينب : ذنبك يا بنتى . تحدّيتهم جميعا فألبتهم عليك .

زينب : فى سبيل الله يا أماه والله من ورائهم محيط .

أم زينب : حتى يحبى الدين ابن عمك لم يسأل عنا اليوم .

زينب : سيحضر بعد قليل .

أم زينب : عادته أن يحضر من أول الصباح .

زينب : ذهب اليوم ليقابل الجنرال الإنجليزي هتشنسون .

أم زينب : ماذا يصنع عنده ؟

زينب : الجنرال الإنجليزي هو الذى دعاه لمقابلته .

أم زينب : لا بد أنه سينتقم منه لتلك الإغتيالات .

- زینب : صه .. لم یعلم سرها أحد .
- (یسمع قرع علی الباب الخارجی)
- أم زینب : یا حافظ یا حفیظ . انظری یا لطیفة من ؟
- لطیفة : (تدخل) السیدة زیبة .
- زینب : (تنهض لاستقبالها) أهلا وسهلا . تفضلی یا زیبة .
- زیبة : (تدخل حاملة طفلها سلیمان مراد) صباح الخیر
- یا خالتی أم زینب .
- أم زینب : صباح النور یا بنتی .. تفضلی .
- زیبة : لا وقت للجلوس . جئت لأستودع منكم . أنا راحلة
- بعد قليل .
- أم زینب : إلى أين ؟
- زیبة : مع الجيش الفرنسی إلى رشید .
- زینب : (تأخذ الطفل منها) اجلسی قليلا .
- زیبة : أخی ينتظرنی أمام الباب .
- أم زینب : دعيه یدخل .
- زیبة : كلا لا أریده أن یدخل . سأجلس عندكم لحظة
- (تجلس) زینب . أنصتی إلیّ .
- زینب : (تداعب الطفل وتقبله بحنان) یا حبیبی . ما أحلاه .
- زیبة : دعینا من الطفل . استمعی إلیّ فالوقت ضیق .
- زینب : نعم .. ماذا عندك ؟
- زیبة : احزمی ثیابك وأشیاءك وتعالی ارحلی معنا إلى رشید .

- زينب : ماذا أصنع هناك ؟
- زبيدة : تأمنى على حياتك . أنت هنا فى خطر . قد أخذت لك
إذنا خاصا .
- زينب : ممن ؟
- زبيدة : من القائد العام الجنرال بليار .
- زينب : هذا سيسلمنى للإنجليز أو للأتراك .
- زبيدة : كلا يا زينب . إن من شروط الصلح التى اتفقوا عليها أن
لمن شاء من الأهالى المتصلين بالفرنسيين أن يرحل معهم
فى أمان .
- زينب : يا زبيدة يا أختى العزيزة أترضين لى أن أكون من صنائع
الفرنسيين أو حاشيتهم ؟
- زبيدة : أرضى لك ما أرضاه لنفسى .
- زينب : أنت زوجة قائددهم العام وأم ولده فلا حرج عليك ،
ولكنى كنت أسعى لتحرير البلاد منهم ومن غيرهم من
الغزاة والمحتلين .
- زبيدة : إنهم اليوم بسبيل الجلاء عن البلاد فما عادوا غزاة
ولا محتلين .
- زينب : كلا يا زبيدة .. إن خرجت معهم اليوم كنت كذلك
الخائن الجنرال يعقوب الذى لم يكتف بالخروج معهم
حتى أراد أن يكره أبناء ملته الأقباط على الخروج معه ،
فثاروا عليه وتركوه .

الرشيدى : (صوته) زبيدة . يا زبيدة . لقد تأخرنا . (يدخل
فتسحب أم زينب) .

زبيدة : (غاضبة) ما هذا ؟ أتدخل هكذا دون استئذان ؟
الرشيدى : أردت أن أسلم على زينب وأتزوّد بنظرة . هل استطعت
أن تقنعها بالسفر معنا ؟

زبيدة : لا شأن لك . اخرج وانتظرني بره . إن دخلت مرة
أخرى فلن أقوم من مجلسي هذا ولو فاتني الميعاد .
الرشيدى : حرام والله أن يروح هذا الجمال كله هدرا بأيدي أولئك
الأجلاف . (يخرج) .

(تعود أم زينب)

زبيدة : ساعيني يا زينب . أنا خجلانة من تصرفه .
زينب : لا عليك يا أختي .. ليس ذنبك (تنظر نحو الباب)
أهلاً أم داود . (تمض لتستقبلها) تفضلي يا أم داود .
(تدخل أم داود حاملة طفلاً صغيراً هو حفيدها
سليمان بن داود فتبادل التحية مع النسوة الثلاث ثم
تجلس) .

زبيدة : قد آن لى الآن أن أقوم .

أم زينب : كلا .. انتظري حتى يجيء الشراب .

زبيدة : لا داعى يا خالة .

أم زينب : لا بد أن تشرى عندنا شيئاً . الدنيا حر .

(تدخل الجارية لطيفة بصينية عليها أقداح من شراب)

- الورد فيشر بن ويشرب الطفلان أيضا) .
- زينب : سبحان الله . ما أعجب تصارييف القدر ! كيف جمع
اليوم بيننا نحن السلطانات الثلاث . (تشير إلى نفسها
وإلى زبيدة وأم داود) .
- زبيدة : (تشير إلى أم داود) الهائم أيضا ؟
- زينب : هذه أم داود يا زبيدة . زوجة الشيخ الجوسقى الذى
حدثتك عنه .
- زبيدة : هى إذن السلطانة الأولى .
- زينب : أجل وهذا حفيدها سليمان .
- زبيدة : على اسم ابنى .
- زينب : وكلاهما كان مرشحا لولاية العهد .
- أم زينب : ونسيت الثالث يا زينب ؟
- زينب : من ؟
- أم زينب : ابنك الذى أسقطتيه .
- زينب : (يظهر فى وجهها الأسى) صحيح . قتلت ابنى
بيدى . لعنة الله على أبيه .
- زبيدة : (تنهض مستأذنة فتعانق زينب وهى تبكى) أنا لن
أنسى أفضالك يا زينب ومواساتك لى فى أحلك ساعات
حياتى .
- زينب : أرجو لك التوفيق يا زبيدة .
- زبيدة : معه ؟ لا أظن يا زينب . إنه رجل أخرق . انظرى كيف

أغضب كبار قواده عليه حتى خسر معركة كانوب
برعونته وسوء قيادته ، ثم لم يشأ أن يعترف بهذا الصلح
الذى عقده بليار وبقي يقاتل وحده فى الإسكندرية .

زینب : لا تئسسى . سىضطر هو أيضا إلى التسليم عما قريب .

زینب : إى لأحتقر نفسى حین أنظر إلیک . أین أنا زیندة

منک ؟ أنت فى القمة وأنا فى القاع السحیق . لیحرسک

الله یا زینب . (تحمل طفلها وتخرج) .

أم داود : أهذه زیندة الرشیدة التى تزوجت الجنرال عبد الله

مینو ؟

زینب : نعم .

أم داود : والطفل ابنها منه ؟

زینب : نعم .

أم داود : طفل حلو .

زینب : لیس أحلى من سلیمان بن داود . (تأخذه من حجر أم

داود فتناغیه وتقبله) ابنها وابنى كلاهما دخیل .

أما حفیدک هذا فهو الأصل .

أم داود : هاتیه لئلا یبول على حجرک . (تحاول أخذه منها

فیمتع) .

زینب : لا یرید أن یفارقنى . انظرى إنه یبوسنى .

أم داود : الملعون . رآک أحلى منى فتعلق بك .

(تضحک النسوة الثلاث)

« مأساة زینب »

- أم زينب : وأين أمه يا أم داود ؟
- أم داود : طلقها داود من زمان .
- أم زينب : لماذا ؟
- أم داود : هي التي طلقته في الحقيقة ، لم تشأ أن تعيش معه بعد وفاة الشيخ .
- أم زينب : وتركت ابنها لك ؟
- أم داود : تزوجت رجلاً آخر فأخذنا ابننا منها .
- أم زينب : وداود ابنك ما شغله ؟
- أم داود : (تضحك) ما شغله ؟
- زينب : أمي لا تعرف عنه شيئاً .
- أم داود : هذا غيبى أبله لا يصلح لشيء .
- زينب : (كالمعزية) البركة في سليمان يا أم داود . سيكون له شأن إن شاء الله . سمعت أن فيه ملامح من جده .
- أم داود : نعم لقد تنبأت بذلك قبل أن يولد . قلت للشيخ إن الخلفة مثل الرؤيا تأتي على العكس . أنت ذكي فطلع منك هذا الأبله . وهذا الأبله سيطلع منه طفل ذكي مثلك . فضحك مني ذلك اليوم ولم يصدقني . يا ليتة عاش ليرى مصداق كلامي .
- (يتضحكن)
- زينب : رحمة الله على الشيخ الجوسقي . لقد سبق عصره .
- أم داود : دعيها منه . لو كان فيه خير لما رفض السلطنة حين

عرضها عليه بونا برته .

زینب : تلك هى عظمتة . أئى أن یرشوه بها حاكم أجنبى .

أم داود : أليس جنونا منه .. أن یلطم بونا برته على خده ؟

زینب : منتهى الشجاعة یا أم داود .

أم داود : أى شجاعة یا بنتى ؟ لقد دفعه بذلك إلى قتله ، فصرنا

یتامى من بعده .

زینب : إن الله لا ینسى أبناء شهدائه وسیجعل لهم بعد عسر

یسرا .

أم داود : لولا معونتك لنا یا بنت الأكابر لضعنا فى هذا البلد .

زینب : إنما ندفع بعض الدين الذى علينا للشيخ سليمان

الجوسقى .

أم داود : على فكرة یا بنتى لعلك غلطت اليوم . خذى .. كثر الله

خیرك .

زینب : ما هذا ؟

أم داود : الكيس الذى بعثته مع حافظ .

زینب : كلا یا أم داود ما غلطت . هذا من أجل الشهر القادم .

أم داود : ولماذا التقدیم ؟

زینب : ربما یعنُ لى سفر مفاجئ .

أم داود : إلى أين یا بنتى ؟

زینب : إلى مكان قريب !

أم داود : سر من الأسرار ؟

- زینب : نعم . نعم .
- أم داود : ربنا یستر علیک كما سترت علینا یا بنتی . بجاه النبی .
- (تنهض لتنصرف) ويعوضک باہن الحلال والذرية الصالحة . (تشیعها زینب وأم زینب حتی الباب) .
- أم زینب : یا بنتی کل أصدقائك یخافون علیک وأنت لا تخافین علی نفسك .
- زینب : یا أماء إنهم سیؤذونک أنت إن هربت .
- أم زینب : لا بأس یا زینب ، سأتحمل أذاهم قليلا فی سبیل نجاتک .
- زینب : کلا یا أماء . کفی ما أصابک بسببی من قبل .
- أم زینب : ما أصابنی یا زینب إلا ما أصابک .
- زینب : أنا کنت سبب القطیعة بین أبی و بینک .
- أم زینب : لا والله لست أنت السبب .
- زینب : هو یقول ذلك .
- أم زینب : هو کاذب .
- زینب : ما السبب إذن ؟
- أم زینب : ما کنت أريد أن أفشى هذا السر لأحد .. لكن .
- زینب : اکتمیه إذن . لا أريد أن أسمعہ .
- أم زینب : بل یجب أن تسمعیه لیستریح بالک . إنه تغیر یا زینب منذ جاء الفرنسيون فعلموه السكر والعريضة ، فلم أطلق أن أعیش معه .

— ١٠١ —

- زينب : لا حول ولا قوة إلا بالله .
- أم زينب : صه . هذا محبى الدين قد أقبل .
- (يدخل محبى الدين)
- أم زينب : الحمد لله على سلامتك يا ابنى .
- زينب : قابلت الجنرال هتشنسون ؟
- محبى الدين : نعم جئت فوراً من عنده من الجيزة .
- زينب : فماذا وجدت عنده ؟
- محبى الدين : تلقانى باحترام ، ثم شكأ لى من غدر الأتراك واغتيالهم لكثير من جنوده بالليل .
- زينب : عظيم .. ثم ماذا ؟
- محبى الدين : ثم سألتى عن رأيى فى الممالك ، فأخذت أمدحهم وأثنى عليهم .
- زينب : لماذا فعلت ذلك ؟
- محبى الدين : لأنى لمحت عند دخولى إليه شخصاً كأنسه عثمان الطنبورجى ، فوقع فى ظنى أنهم مجتمعون عنده ليستمعوا إلى ما أقول . ولكنى اكتشفت أن ظنى غير صحيح ، إذ أجابنى بأنه لا يستطيع أن يعتمد على الممالك لأنهم لا يقلون غدراً عن الأتراك .
- زينب : ثم ماذا ؟
- محبى الدين : ثم تحدثت عن جيش الشعب ، فإذا هو يعرف عنه وعن مؤسسة الشيخ الجوسقى وعنك وعنى كل شىء .

— ١٠٢ —

زينب : قاتله الله من أين عرف ؟
 محيى الدين : لا أدري .. قلت فى نفسى الآن يقبض علىّ للاغتيالات
 . التى قام بها جماعتنا ، لكنه مضى فى حديثه وجعل يعرض
 علىّ أمرا فى غاية العجب .

زينب : ما هو يا ترى ؟
 محيى الدين : الجلم الذى كان يراودك .
 زينب : أفصح .

محيى الدين : أن نعاوننه ويعاوننا على ما فيه صلاح البلاد وتحريرها من
 حكم الأتراك والمماليك ، وإقامة دولة عربية كبرى
 تشمل بلاد العرب كلها وتكون عاصمتها القاهرة
 وأكون أنا سلطانا لها وأنت سلطنة .

أم زينب : الحمد لله جاء الفرج .
 زينب : انتظرى يا أماه . فماذا قلت له ؟
 محيى الدين : ارتبكت من هول المفاجأة أول الأمر ، ثم تماسكت قليلا
 فقلت له لو كان الأمر بيدى لقبلت فى الحال . قال أتريد
 أن تستشير ابنة عمك ؟ قلت نعم . فندمت على نعم
 هذه ووددت لو وجدت إلى ردها سبيلا .

زينب : فيم ؟
 محيى الدين : ما كان ينبغى أن أدله عليك .
 زينب : كلا لا تندم ، فأغلب الظن أن الذى زوده بهذه الأخبار لم
 يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أخبره بها .

- محيى الدين : ثم سألتني عن عنوانك فأعطيته عنوان أبيك .
- زينب : هذه هي الغلطة .
- محيى الدين : تظنين أنه سألتني وهو يعرف ؟
- زينب : نعم ليختبر صدقك من كذبتك .
- محيى الدين : سامحيني يا زينب فقد كنت أستشير برأيك في مثل هذه المواقف .
- زينب : لا عليك يا ابن عمي . استعد الآن للهرب .
- محيى الدين : وأنت ؟
- زينب : أنا سأبقى .
- محيى الدين : كلا لن أتركك وحدك .
- زينب : يا ابن عمي قد شاء الله ألا يتحقق هدفنا اليوم ، فعليك أن تنجو بنفسك لعلك تستطيع أن تحمل الشعلة إلى الغد . أنت الأمل يا محيى الدين فلا تدعني أموت يائسة قانطة . دعني ألقى الله وأنت حي طليق فألقى الله وأنا ممتلئة آملا بأن أهدافنا ستتحقق ذات يوم .
- أم زينب : عجباً لم لا تقبلان هذا العرض ؟
- زينب : إنه عرض مسموم يا أماه .
- أم زينب : أتفضلان الموت على أن تعيشا سلطانا وسلطانة ؟
- زينب : إنما يريد أن يسخرنا ليسيطر بنا على البلاد ، ثم يركلنا بعد ذلك .
- أم زينب : أما كنتم تترجيان الفرنسيين أن يقبلوا تأييد جيش

الشعب ؟

زینب : هؤلاء شيء آخر يا أماء .

أم زینب : أخطر من الفرنسيين ؟

زینب : أخطر وأجث . إنهم يجمعون بين أطماع الاستعماريين

وأحقاد الصليبيين ولهم أسطول غالب على البحر كله ،
فإذا وقعت بلادنا في قبضتهم صعب علينا الخلاص .

أم زینب : لكن الأتراك س يرجعون إلى حكمنا والمماليك .

زینب : أهون من أن يحكمنا هؤلاء الشياطين . إن حكم الأتراك

والمماليك لن يكون في قسوته الأولى ، فقد استنار
الشعب كثيرا من هذه التجارب القاسية التي مرت عليه
في هذه السنوات الثلاث ونحن قد عجمنا عودهم ففى
وسعنا أن نواصل كفاحنا في عهدهم حتى يتحقق
ما نريد .

محيى الدين : أنت أقدر منى يا زینب على قيادة الحركة ، فلم لا تهربين
أنت مكانى وأبقى أنا مكانك ؟

زینب : كلا يا محيى الدين ، ليس للمرأة حرية الرجل في التخفى
والتنكر والتقلب في البلاد والتعرض لما لا يليق .

محيى الدين : إذن فبالله عليك إلا ما افترقنا اليوم ونحن زوجان أمام الله
وأمام الناس .

زینب : يا ابن عمى ماذا يفيدنا ذلك ؟

محيى الدين : أمنية قديمة تحققينها لقلبي قبل أن نفترق .

أم زينب : طاروعيه يا بنتي فقد بذل الكثير من أجلك ، وهذا شيء
إن لم ينفعك فإنه لن يضرك .

زينب : كما تشاء يا ابن عمي .

(يخرج محبي الدين منطلقا ثم يعود بثلاثة من أصحابه
أحدهم شيخ معمم لتنسحب أم زينب) .

محبي الدين : أسرع يا مولانا الشيخ قبل أن يحال بيننا وبين ما نريد .
(يعقد الشيخ الزواج بينهما في عجلة دون تطويل ثم
يشهد الرجلين على ذلك ، وتدخل الجارية بأكواب
الشراب فتدور بها على الحاضرين ثم ينصرف الثلاثة
صامتين) .

زينب : هيا يا محبي الدين ودعنا فإن قنبي يحدثني أنهم آتون
الساعة للقبض عليك .

محبي الدين : يا زينب دعيني أنعم قليلا بهذه اللحظات الحلوة التي
أقضيها معك .

زينب : لا تدعهم يحيلوها إلى لحظات حزن وعذاب . هلم يا ابن
عمي (تفتح ذراعها له)

(يلتقيان في عناق طويل والدموع تنساب من عيونهما
وهما صامتان) .

زينب : (ترحله عنها برفق) حسبك يا حبيبي . انطلق
الآن . انج بنفسك وانج بمصر .

محبي الدين : إلى اللقاء يا زينب .

- زينب : إلى الملتقى يا محبى الدين .
- (يخرج محبى الدين)
- أم زينب : مسكين . لقد ظلمته يا زينب وقسوت عليه .
- زينب : أنت التى أشرت علينا بالزواج .
- أم زينب : لست أعنى اليوم . أعنى فيما مضى .
- زينب : ما مضى فات يا أماه .
- أم زينب : أنت التى ضيعته يا زينب .
- زينب : كل ما فى الدنيا ضائع يا أماه إلا العمل الطيب .
- (تسمع جلبة فى الخارج ثم يقرع الباب قرعا شديدا)
- أم زينب : (مرتاعة) يا إلهى ما هذا ؟
- زينب : من ؟
- صوت : افتحوا للجنرال هتشنسون .
- أم زينب : هتشنسون . ماذا جاء به ؟ يا عينى عليك يا مصر .
- صرت وكالة بغير بواب . يوما يدخلك الفرنسيين ويوما الإنجليز . وقبل ذلك جنس الأتراك والمماليك .
- زينب : الحمد لله إذ نجا محبى الدين . ادخل أنت يا أماه . افتحى له يا لطيفة .
- أم زينب : أتقابلينه وحدك ؟
- زينب : لم لا ؟ لن يأكلنى .
- أم زينب : يا رب اجعل العواقب سليمة . (تنسحب)
- (يدخل هتشنسون يرافقه ضابط إنجليزى)

- المرافق : هذا بيت السيدة زينب الكبرى ؟
- زينب : هذا بيت والدتي أما بيت والدي ففي حي الأزركية .
- هتشنسون : أنت السيدة زينب ؟
- زينب : نعم .
- هتشنسون : تشرفنا . أنا الجنرال هتشنسون قائد القوات الإنجليزية .
- زينب : تشرفنا . ماذا تريد ؟
- هتشنسون : كان السيد محيي الدين عندي وجرى بيني وبينه كلام ، وقال إنه سيستشيرك أنت فأين هو ؟
- زينب : كان هنا وخرج .
- هتشنسون : أين ذهب ؟
- زينب : لعله ذهب يحمل الرد إليك ، فلماذا لم تنتظره هناك ؟
- هتشنسون : أردت أن أراك أنت أيضا ، فقد علمت أنك ذات شأن .
- زينب : فهأنذا قد رأيتني الآن .
- هتشنسون : أريد أن أعرف رأيك فيما عرضته على محيي الدين .
- زينب : استشارني محيي الدين فأشرت عليه بالرفض .
- هتشنسون : لماذا ؟
- زينب : لأنه ليس في مصلحة بلادنا .
- هتشنسون : أليس هذا ما كنتم تطلبونه من بونا برت ثم كليبر ثم مينو ثم بليار ؟
- زينب : لكننا لم نطلبه منكم .

- هتشنسون : اطلبوه منا إن شئتم .
- زينب : ولن نطلبه .
- هتشنسون : لماذا ؟
- زينب : لأننا لا نعترف بوجودكم فقد دخلتم البلاد لمعاونة
العثمانيين في زعمكم ، فليأت العثمانيون ليفاضونا إن
شاعوا .
- هتشنسون : إن العثمانيين سيأتون ومعهم الممالك وجماهير الشعب
ليقتلوك لا ليولوك سلطنة .
- زينب : لأن يقتلني هؤلاء أكرم لي وأشرف من أن تجلسوني أنتم
على العرش .
- هتشنسون : مرة أخرى أعرض عليك الجاه والعرش ، فهل تقبلين ؟
- زينب : لا لا لا .
- هتشنسون : سوف تندمين .
- زينب : لا أندم على واجب أقوم به .
- هتشنسون : إن الشعب غاضب عليك ، وأنا سأحميك من غضبته .
- زينب : لا شأن لك بي . إني أحب هذا الشعب راضيا وغاضبا .
- ولئن غضب على اليوم ليرضين عني غدا ، يوم يعرف
نفسه ويعرف طريقه فيعرف عدوه ويعرف صديقه .
- هتشنسون : سوف ترين (يخرج غاضبا هو ومرافقه) .
- (تدخل أم زينب)
- أم زينب : زينب . يظهر أنهم سيسلطون الغوغاء عليك .

— ١٠٩ —

- زينب : حسبى الله ونعم الوكيل . دعينى أتوضأ يا أماه .
- أم زينب : ما حان وقت الصلاة بعد .
- زينب : لا بأس أن أتطهر من الآن (تخرج) .
- أم زينب : (فى اضطراب) انظرى يا لطيفة هل على الباب أحد ؟
- لطيفة : سمعا يا ستى (تخرج ثم تعود) لا يا ستى .. لا أحد على الباب .
- أم زينب : الحمد لله .
- (تعود زينب وعلى وجهها آثار الوضوء وقد ارتدت القميص الأبيض الذى تلبسه المرأة للصلاة وعلى رأسها الطرحة البيضاء) .
- زينب : ما بالك يا أمى تنظرين إلى ؟
- أم زينب : كان ينبغى اليوم يا بنتى أن أراك فى ثوب الفرح .
- زينب : هذا ثوب فرحى يا أماه ، هذا أفضل وأجمل .
- أم زينب : دعينا من هذا يا بنتى .. دعينا فى المهم .
- زينب : وما المهم ؟
- أم زينب : أن تهربى الآن قبل أن تجيء الغوغاء .
- زينب : إلى أين يا أماه ؟
- أم زينب : إلى أى مكان . إلى بيت الجوسقى مثلا عند أم داود .
- زينب : أتظنين هذا الإنجليزى يترك بيتنا دون أن يحيطه برجاله ؟
- أم زينب : كلا لا أحد حول البيت . قد أمرت لطيفة أن تنظر فلم تجد أى مخلوق .

- زينب : لا بد أنهم موجودون وإن لم ترهم لطيفة .
- أم زينب : قلت لك لا أحد .
- زينب : اتركيني يا أمى بكرامتى فى البيت خيرا لى .
- أم زينب : يا بنتى لا تفجعينى فيك . ليس لى غيرك . اسمعى كلامى . اهرى الآن . خذى ملاءقى عليك والبرقع (تناولها الملاءة والبرقع) .
- زينب : تعالى يا لطيفة . (تلبسها الملاءة والبرقع) .
- أم زينب : ماذا تصنعين ؟
- زينب : اخرجى يا لطيفة وامشى حتى راس الشارع فإن لم يتعرض لك أحد فعودى إلينا لألبس أنا الملاءة وأهرب .
- لطيفة : وإن تعرض لى أحد يا ستى ؟
- زينب : فاكشفى له وجهك وقولى أنا الجارية ، ثم عودى إلينا كذلك .
- أم زينب : بوركت يا بنتى . هذه حيلة حسنة .
- (تخرج لطيفة بالملاءة والبرقع)
- لطيفة : (يسمع صوتها صائحا) دعونى يا أبالسة . ماذا تريدون ؟ انظروا إلى وجهى . أنا الجارية .
- زينب : سمعت يا أماه ؟
- أم زينب : لا حول ولا قوة إلا بالله .
- لطيفة : (تدخل) كلاب . برزوا لى من الأركان وأحاطوا بى مثل الغيلان .

- زينب : رضيت عنى الآن ؟
- أم زينب : (تبكى) أنا دائماً راضية عنك يا زينب وأدعو لك من قلبى ، ولكن الله لا يستجيب لدعاى .
- زينب : (تواسيها) لا لا يا أماء هذا قول لا يصح أن تقوليه . إنه تبارك وتعالى يقول ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .
- (تسمع جلبة فى الخارج فترتاع أم زينب ولطيفة)
- (ثم يقرع الباب قرعاً شديداً فتفتح لطيفة وإذا جمع من الناس يقتحمون البيت حتى امتلأ بهم الفناء ، يتقدمهم الضابط المرافق لهتشنسون فى رجاله ، ونصوح باشا فى حاشيته ، وعثمان الطنبورجى فى نفر من الممالك ، والشيخ خليل البكرى فى عدد من الشيوخ ، والبقية من عامة الشعب وبينهم السيد حسن كربت متنكراً مع نفر من أصحابه) .
- (تنسحب زينب وأم زينب ولطيفة إلى الداخل) .
- الطنبورجى : (يهمس له الضابط الإنجليزى) يا سيد خليل البكرى . أين ابتك المنهمة ؟ ألا تحضرها لنحاكمها ؟
- خليل : (ينهض خجلاً) سأدخل وأدعوها لكم .
- (يخرج من باب الرواق)
- نصوح : حذار يا جماعة لا يسربها أبوها من باب خلفى .

- الضابط : لا تخف يا نصوص باشا . إن رجالى يحيطون بالبيت من كل جانب .
- خليل : (يعود) انتظروا قليلا يا سادة . إنها تصلى .
- أصوات : تصلى ؟ (ضحك) .
- خليل : أتظنون أنها لا تعرف الصلاة ؟
- أصوات : تصلى لمن يا ترى ؟ للفرنسيين ؟ لمن فيهم يا ترى ؟
- خليل : ساحكم الله . تصلى لله ربها وربكم .
- أصوات : يدافع عنها . هو كان السبب .
- أصوات : كان يدارى عليها من قبل واليوم يحامى عنها .
- أصوات : أجل كان الواجب أن تحاكموه هو قبل أن تحاكموا ابنته .
- أصوات : هو الذى كان يحب الفرنسيين ويجلهم ويهدى إليهم الهدايا ويأكل عندهم .
- أصوات : ويأكلون عنده .
- أصوات : وكانوا يعاملونه معاملة خاصة . أعفوه من الفردة ولم يأخذوا شيئا من أمواله .
- أصوات : وولوه المناصب الرفيعة . جعلوه نقيب الأشراف .
- وعضوا فى الديوان .
- الطنبورجى : (يهمس له مرافق هتشنسون) كفى يا قوم . نحن ما جئنا لنحاكم الشيخ خليل البكرى . فقد تاب وأناب .

- نصوح : تاب وأتاب . لو جاء الفرنسية مرة أخرى لانضم إليهم .
- الطنبورجى : يكفى عقوبة له أن الناس نهبوا اليوم بيوته وأمواله .
- نصوح : يجب أن ينال كل خائن جزاءه .
- الطنبورجى : يا نصوح باشا يجب أن نحافظ على النظام . نحن جئنا هنا اليوم لنحاكم زينب .
- نصوح : وأين هى زينب ؟
- خليل : قلت لكم .. تصلى .
- نصوح : إلى متى تصلى ؟
- صوت : لعلها تصلى التراويح . (ضحك) .
- نصوح : هل دخل شهر رمضان ؟
- (يتعالى الضحك من نصوح باشا)
- الطنبورجى : (فى سخريه وشماتة) ألا تعرف يا نصوح باشا دخل شهر رمضان أم لا ؟ (ضحك) .
- نصوح : أنا ما سمعت مدافع البارحة . (ينفجرون ضحكا) هل بطلتم المدافع ؟
- الضابط : (يصيح غاضبا) نظام . نظام .
- نصوح : أين زينب ؟ حتى التراويح لا تستغرق هذه المدة .
- الطنبورجى : الباشا لا يزال يظننا فى شهر رمضان .
- (يتعالى الضحك) .
- صوت : ويظن التراويح بالنهار . مُنْغ تركى صحيح .

- نصوح : (غاضبا يتلفت في كل اتجاه) من الذى قال ؟
- أصوات : قال ماذا ؟
- نصوح : قال : مخ تركى صحيح .
- أصوات : أنت يا باشا قلت ذلك .
- نصوح : أوه ليس الآن .. قبل ذلك .
- أصوات : قبل ذلك ؟
- نصوح : أوه . أغبياء ! (يتعالى الضحك) لماذا تضحكون ؟
- أصوات : على الأغبياء يا باشا على الأغبياء .
- نصوح : ظننت .
- أصوات : لا .. لا تظن يا باشا . معاذ الله . (يستمر الضحك) .
- الضابط : (يصيح مرة أخرى) نظام . نظام . نظام .
- (تدخل زينب كما كانت بقميص الصلاة فيسكت الجميع مبهورين بما يفيض به وجهها من جمال وقداسة) .
- زينب : اجلس يا ألى فى مكانك . (يعود خليل إلى مكانه) .
- (تردد طرفها فى الحاضرين حتى يستقر بصرها على الضابط) ماذا تريد منى أيها الضابط الإنجليزى ؟
- الضابط : أنا ؟ أنا لا أريد شيئا .
- زينب : فلماذا جمعت هؤلاء الناس وجئت بهم إلى بيت أُمى ؟
- الضابط : أنا .. أنا ما جمعتهم .
- زينب : صاحبك الجنرال هتشنسون هو الذى جمعهم ؟

الضابط : الجنرال هتشنسون ؟ لا . هم الذين اجتمعوا من تلقاء أنفسهم .

زينب : أنت كنت معه اليوم عندى حين عرض على أن يجعلنى سلطنة إذا قَبِلْتُ أن أتعاون معه على طرد الأتراك والمماليك ؟

الضابط : كلا . هذا لم يحدث (يستجده بالطنبورجى) .

زينب : ألا تستحى وأنت برتبة قائد أن تكذب أمام الناس ؟

الطنبورجى : أنت التى تكذبين . منذا يصدق هذا الكلام ؟ سلطنة ؟ مرة واحدة !

نصوح : هذا كلام مجانين .

الطنبورجى : هى ليست مجنونة ولكن تتظاهر بالجنون لتتخلص من العقاب .

أم زينب : (تدخل متبرقة) كلا أنا كنت موجودة . حقا هذا الهتشنسون عرض عليها وعلى ابن عمها العرش . ولكنها رفضت .

لطيفة : (تدخل) والله العظيم هذا حق . أعدم نظرى وسمعى إن كذبت عليكم . وكان فى صحبتة ذاك الرجل القاعد هناك الذى وجهه مثل القوطة .

الطنبورجى : من هذه العجوز ؟ أليست أم زينب ؟ ومن هذه الفتاة ؟ أليست جاريتها ؟ لا شك أنهما كذبتا لصالحها .

الضابط : (لزينب) ما كنت أعلم أنها خطيرة إلى هذا الحد . لقد أرادت

— ١١٦ —

أن توقع بيننا نحن الإنجليز وبين حلفائنا الأتراك
والمماليك .

نصوح : ولحساب من ؟ لحساب الفرنسيات .
زينب : لعنة الله على الكاذبين . إن الضعيف يلجأ عادة إلى
الكذب ليستريح به ضعفه ، أما القوى إذا كان كذابا فماذا
تصنع فيه ؟

نصوح : هذه تشتمنا بالشعر .
الطنبورجى : بل تحاول بكلامها الفارغ هذا أن تلهينا عن الجرائم التى
ارتكبتها .
زينب : الجرائم ؟

الطنبورجى : والخيانة العظمى .
نصوح : الخيانة العظمى ! يا عثمان بك ، الكلام فى هذا لى أنا ؟
الطنبورجى : نعم نعم . تكلم أنت .

زينب : ما شاء الله ! وزعم بينكم الأدوار !
نصوح : يا زينب هانم حضرتك متهمه بالخيانة العظمى وعقوبتها
قطع الرأس .

زينب : يا نصوح باشا أنت المتهم بالخيانة العظمى وعقوبتها
الشنق .

نصوح : (غاضبا) أدبسيس خرسيس .

- زينب : تكلم بالعربى ليفهمك الحاضرون .
- نصوح : قليلة الأدب . قليلة الحياء .
- زينب : لا تغضب . أقم الدليل على دعواك وأنا سأقيم الدليل على دعواى .
- نصوح : حاضرياً أفندم . أنت كنت مع الأعداء الفرنسيين يوم ثار أهل القاهرة عليهم فى عهد الطاغية كليبر .
- زينب : أجل كنت معهم ذلك اليوم المشئوم لكى أنقذ أهل القاهرة وأهل مصر جميعاً من تلك المكيدة العظمى التى دبرتها أنت بالاتفاق مع الأعداء الإنجليز والخنونة المماليك ، لتحولوا دون جلاء الفرنسيين عن بلادنا طبقاً لمعاهدة العريش .
- نصوح : هذا كلام مجانين . كيف يعقل أن نقاتل الفرنسيين ولا نريد جلاءهم ؟
- زينب : أجل لم يكن ذلك فى مصلحة الدولة العثمانية ولا فى مصلحتنا نحن المصريين ولكن فى مصلحة هؤلاء الإنجليز ، ليقتل الفرنسيون والأتراك فتضعف قوة الفريقين . ثم نقتل نحن والفرنسيون فينتقم الفرنسيون منا ذلك الانتقام الفظيع .
- الضابط : وما مصلحتنا نحن الإنجليز فى ذلك ؟
- زينب : مصلحتكم واضحة ، فقد حضرتم اليوم فى الظاهر لمعاونة العثمانيين على طرد الفرنسيين من بلادنا ، أما فى

الباطن فلاحلال بلادنا مكان الفرنسيين .

الضابط

: هذا كذب . هذا افتراء .

زينب : هون عليك فلا أحد يتهمك أنت ولا صاحبك

هتشنسون بالخيانة ، فأنتما مخلصان لدولتكما إنجلترا .

ولكنى أتهم نصوح باشا هذا الذى خان دولته وخان

الإسلام والمسلمين وباعنا جميعا للإنجليز .

نصوح : (يتميز غيظا ويشد شعر رأسه ويتمم بكلام مبهم) ..

الطنبورجى

: دع الكلام لى الآن . عندى شهود يا زينب يشهدون

أنهم رأوك ذلك اليوم تحملين البندقية وتطلقين النار على

قومك المسلمين فى نصره الفرنسيين ومن دار قيادتهم

العامة .

زينب

: أجل كنت أحمل البندقية وأطلق النار على الدجالين

النصابين الكذابين من الأتراك والمماليك ، الذين غرروا

بأهل القاهرة وكذبوا عليهم فدفعوهم إلى الهلاك والدمار

والخراب ، ثم تخلوا عنهم فى النهاية واتفقوا مع الفرنسيين

وقدموا لهم الخطب فى السفن لإحراق القاهرة

وبولاق . أتدرون يا معشر المسلمين من الذى قدم لهم

الخطب ؟

أصوات

: من ؟

زينب : عثمان بك الطنبورجى هذا ، وسيده الطاغية مراد بك

الذى أخذه الله بالطاعون فأراح البلاد والعباد منه .

- صوت : إذن فعثان بك الطنبورجی هذا قد ارتكب الخيانة
العظمی فیجب أن یلقى جزاءه .
- أصوات : أجل أجل . ونصوح باشا أيضا .
- (یضطرب المجلس وتسری فیہ الهمهمة)
- الضابط : نظام . نظام .
- الطنبورجی : (لصاحب الصوت الأول) من تكون ؟
- الرجل : رجل من المسلمين .
- الطنبورجی : ما اسمك ؟
- الرجل : حسن کریت نقیب الأشراف برشید .
- الطنبورجی : ما الذی جاء بك هنا ؟
- کریت : جئت أشهد المحاكمة .
- الطنبورجی : اخرج أنت وأصحابك .
- کریت : کلا لن نخرج .
- الأصحاب : لماذا تخرجنا من دون الآخرين ؟
- الطنبورجی : أنتم جئتم بغير دعوة .
- الأصحاب : والآخرون كانوا مدعوین ؟
- الضابط : (ینادی) عبد العال أغا !
- صوت : نعم .
- الطنبورجی : أخرج هؤلاء من هنا .
- زینب : یا سید حسن کریت یا نقیب الأشراف برشید بورکت
وبورك أصحابك . إن كان لی عندكم خاطر فاجرجوا

الآن بسلام فإن هؤلاء الطغاة لا يعجزهم شيء ، وكفى
ما فضحتموهم وكشفتهم عن تدبيرهم والله غالب على
أمره وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .
(يخرج حسن كريت وأصحابه وخلفهم عبد العال
أغا وزبانيته) .

(يتهاشم الضابط والطنبورجى ونصوح باشا)
الطنبورجى : ما قولك الآن يا زينب فيما يعلمه العامة والخاصة من
انتهاكك لحرمة الدين .

زينب : معاذ الله إني مسلمة صادقة الإيمان أتمسك بدينى وأقوم
بفرائضة ، فكيف أنتهك حرمة ؟

الطنبورجى : وتبرجك وخلاعتك ؟
زينب : كلا والله ما كنت يوما خليعة ولا متبرجة .

الطنبورجى : ووجهك هذا الذى تبيحينه للناظرين ؟
زينب : إن كنتم تتخرجون من النظر فيه فغضوا أبصاركم .
الطنبورجى : بل عليك أن تستريه .

زينب : ليس وجهى عورة فأستره .
الطنبورجى : بل كل شيء فى المرأة عورة .
زينب : هذا الفهم السيئ لمركز المرأة فى الإسلام هو أحد
أسباب تخلف المسلمين وذهاب أمرهم وغلبة الأعداء
عليهم .

الطنبورجى : أتريدى أن تأتى بدين جديد ؟

زينب : كلا هذا هو الإسلام الصحيح قبل تراكم الجهالات والخرافات عليه .

الطنبورجى : أولم ينه الإسلام عن التبرج ؟

زينب : عن التبرج لا عن السفور وفرق بين الاثنين . وقد اشترك في معركة القادسية وحدها ألوف من النساء المسلمات . فبالله كيف يشتركن فيها وهن محجبات ؟ وكان اشتراكهن في هذه المعركة من أكبر أسباب انتصار المسلمين على الفرس الذين كانوا يحجبون نساءهم ، فلم تشترك في المعركة فارسية واحدة .

الطنبورجى : من أين جئت بهذا الكلام ؟

زينب : انظر تاريخ الطبرى إن شئت .

الطنبورجى : ومن الطبرى هذا ؟ لم أسمع به .

زينب : يجب أن تعرفه قبل أن تتصدى لمناقشتى فيما تجهل .

الطنبورجى : واختلاطك بالفرنسيين ؟ هذا أيضا فى الطبرى ؟

زينب : كانت مخالطتى لهم بحكم زواجى من قائدهم بونابرت .

الطنبورجى : أتريدى أن تفهمينا أن بونابرت تزوجك ؟

زينب : تلك هى الحقيقة .

الطنبورجى : الناس كلها تقول إنك كنت عشيقته .

زينب : يغفر الله لهم . معذورون . لأن الزواج كان سرايا

ولم يعلن .

الطنبورجى : ولماذا لم يعلن ؟

زينب : كان قد وعدنا أن يحتفل بالزواج ويعلنه عند عودته من حملة الشام ، فلما عاد مهزوما قرر الرحيل إلى أوروبا فنكل عن وعده في إعلان الزواج خشية أن تعلم به زوجته هناك .

الطنبورجى : وتم الزواج بغير مأذون ولا شهود ؟
زينب : بلى كان الشيخ محمد المهدي هو الذى عقد لنا الزواج ، وكان الشيخ الفيومى والشيخ الشرقاوى الشاهدين .
(يتهامس الطنبورجى والضابط)

الطنبورجى : عندنا شهود يشهدون بأنك كنت تراقصين فرنسيين آخرين غير بونابرت فى ملهى التيفولى وتشرين معهم الخمر .

زينب : (تتحادر دموعها ولا تجيب) ... ؟
الطنبورجى : لماذا سكّيتُ ؟ أتستطيعين أن تنكرى ذلك ؟ هل نحضر لك الشهود ؟

أم زينب : اشرحى لهم الحقيقة يا بنتى . دعيم يعلموا كل شىء .
الطنبورجى : اسكتى أنت .

أم زينب : أسكت وأنتم تريدون أن تدينوا ابنتى بكل سبيل ؟
زينب : أجل وقع منى هذا الذى تذكرون لأحبا فى الخمر ولا فى

المراقصة يعلم الله ، ولكن تحديا لبونابرت إذ أخلف وعده بإعلان الزواج . وكان يغار من ابن زوجته الشاب بوهارنيه فجعلت أراقص هذا الشاب وأشرب

معه على رؤوس الأشهاد فى الملهى لأثير غيظ بونايرت
وأسحق كبرياءه .

الطنبورجى : ما شاء الله ما شاء الله ! كأن غضبك على بونايرت قد
أباح لك شرب الخمر ومراقبة الرجال فى ذلك الملهى
الذى يعج بالفسوق والفجور ؟

زينب : أعترف أنها كانت نزوة طائشة منى ولم تدم غير بضع
ليال ، ثم أدركت أننى أردت أن أحطمه فحطمت نفسى
فأقلعت عن ذلك وتبت إلى الله وندمت على ما كان
منى ، وما زلت نادمة حتى اليوم .

الطنبورجى : كيف نصدق توبتك وأنت إلى اليوم مقيمة على سفورك
وخروجك على تقاليد قومك ؟

زينب : أنا تبت إلى الله مما أعده معصية ، ولكن لا أتوب إليه مما
لا أرى فيه بأسا بل أرى فيه مرضاة الله سبحانه .

الطنبورجى : اسمعوا يا قوم ! إنها ترى فى ذلك مرضاة الله .

زينب : أجل إن الله لا يرضى لنساء المسلمين أن يكن إماء
لاكرامة لهن ولا مكانة .

الطنبورجى : كأنك تريد أن تحذو نساء المسلمين حذوك ؟

زينب : يا ليت إذن لكان للمسلمين اليوم شأن آخر .

الطنبورجى : أسمعون ؟ إنها تريد أن تنشر الفساد فى نساءكم
وبنائكم .

زينب : بل أريد أن أحررهن من ذل الحجاب ومهانة الحریم ،

- ففى ذلك صلاحهن وفى صلاحهن صلاحكم أنتم .
- نصوح : هذا يكفى لقطع رقبتها فماذا تنتظرون ؟ هذه كافرة .
- أصوات : أجل أجل . اقتلوها . اقطعوا رقبتها . تستحق قطع الرقبة .
- زينب : لست أول داع إلى الخير يقتله الجاهلون .
- أصوات : الجاهلون ؟ نحن الجاهلون ؟ اقتلوا هذه الكافرة . واقتلوا أبأها أيضا فهو الذى أساء تربيتها وأطلق لها العنان . أجل اقتلوا أبأها فقد كان السبب .
- زينب : كلا إن أبى لا شأن له . إن أردتم أن تقتلوني فاقتلوني وحدى .
- الطنبورجى : ماذا تقول يا شيخ خليل .
- خليل : أنا لا شأن لى بها يا قوم .
- أصوات : إن كنت صادقا فتبرأ منها ومن عملها .
- خليل : أنا برىء منها ومن عملها إلى يوم القيامة .
- أم زينب : يا جبان ! يا خسيس !
- خليل : اقتلوها فهى التى شجعتها على الفساد .
- أصوات : أجل . اقتلوا هذه العجوز .
- أم زينب : لا بأس اقتلوني إن شئتم فلن يكون للحياة عندى معنى بعد زينب . لكن اسمعوني أولا حتى أفضح لكم هذا الشيخ وأكشف لكم مخازيه .
- زينب : كلا لا تفعلى يا أمأه . اتركيه من أجلى . لا تنسى أنه أبى .

(يتهامس الضابط والطنبورجى ونصوح باشا)

الطنبورجى : انصرفوا يا قوم فقد انتهت المحاكمة .

أصوات : نريد أن نشهد عقوبتها

الطنبورجى : هذه ليست مهمتكم . هذه مهمتنا .

(يخرج عامة الناس ولا يبقى غير الثلاثة وحاشيتهم)

(يقترب الضابط من زينب ويسر إليها كلاما)

زينب : (تفاجئه بلطمة على خده) خذ هذه لك .

الضابط : (محتجا) أيتها الـ .

زينب : (تعاجله بلطمة على الخد الآخر) وهذه لهتشنسون .

(يلمس كل من الطنبورجى ونصوح خده كأنه

يتحسس أثر اللطمة فيه) .

الضابط : (يصيح) عبد العال أغا .. خذها واقطع رقبتها .

زينب : (يسوقها عبد العال أغا وزبائنه نحو داخل البيت)

يارب أنقذ الكنانة وادفع بلاءها وارفع لواءها وأصلح

رجالها وارحم نساءها . واجعل لها جيشا من بنيتها يعزها

ويحميها . يا رب أنت العليم وأنت الخبير .

وأنت المولى وأنت النصير .

(ستار الختام)

مؤلفات الأستاذ على أحمد باكثير

(١) اختاتون ونفرتيتي	(٢) سلامة القس	(٣) وإسلاماه
(٤) قصر الهودج	(٥) الفرعون الموعود	(٦) شيلوك الجديد
(٧) عودة الفردوس	(٨) روميو وجولييت	(٩) سر الحاكم بأمر الله
(١٠) ليلة النهر	(١١) السلسلة والغفران	(١٢) الثائر الأحمر
(١٣) الدكتور حازم	(١٤) أبو دلالة	(١٥) مسمار جحا
(١٦) مسرح السياسة	(١٧) مأساة أوديب	(١٨) سر شهر زاد
(١٩) سيرة شجاع	(٢٠) شعب الله المختار	(٢١) إمبراطورية في المزداد
(٢٢) الدنيا فوضى	(٢٣) اوزوريس	(٢٤) دار ابن لقمان
(٢٥) قطط وفيران	(٢٦) إله إسرائيل	(٢٧) هاروت وماروت
(٢٨) التوراة الضائعة	(٢٩) جلفدان هام	(٣٠) في ذكرى محمد ﷺ
(٣١) من فوق سبع سموات	(٣٢) الشيماء	(٣٣) إبراهيم باشا

الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » :

(١) على أسوار دمشق	(٢) معركة الجسر	(٣) كسرى وقيصر
(٤) أبطال اليرموك	(٥) تراب من أرض فارس	(٦) رسم
(٧) أبطال القادسية	(٨) مقاليد بيت المقدس	(٩) صلاة في الإيوان
(١٠) مكيدة من هرقل	(١١) عمر ونخالد	(١٢) سر المقوقس
(١٣) عام الرمادة	(١٤) حديث الهرمزان	(١٥) شطا وأرمانوسة
(١٦) الولاة والرعية	(١٧) فتح الفتوح	(١٨) القوى الأمين
(١٩) غروب الشمس		

كلمة الناشر

وفاء لذكرى متعدد المواهب ، الروائي ، المسرحي ، الشاعر ، الأديب ، الفنان على أحمد باكثير ..

وحفاظا على تراثه الغزير ذى القيمة من الاندثار والضياح ..
وخدمة للمكتبة العربية التى أثراها — أنفا — بفيض من تآليفه الرائعة فى مختلف فنون الأدب : الشعر ، والرواية ، والقصة ، والمسرحية ، والمسرحية الغنائية .
رأت « مكتبة مصر — سعيد جودة السحار وشركاه » التى كان لها شرف تقديم جل إنتاجه للقراء ابتداء من سنة ١٩٤٣ ، فامتعت به أبناء الجيل الماضى .
أن تعيد طبع أعماله جميعا ونشرها فى ثوب جديد ، وفى قطع موحد ، حتى تتيح الفرصة لأبناء هذا الجيل والأجيال القادمة للتمتع — كذلك — بإنتاجه البارِع الرفيع .
وتعتقد « مكتبة مصر » أن الأستاذ الراحل على أحمد باكثير ، برغم ما بلغه من مكانة مرموقة بين أدياء العربية ، لم ينل بعد كل ما يستحقه من التقدير الذى يؤهله لأن يكون فى القمة بين جميع الكتاب المعاصرين .

ذلك لأنه — وصديقه الراحل عبد الحميد جودة السحار — كانا هدفا لحملات ظالمة أحيانا ، وإهمال متعمد أحيانا أخرى ، من بعض من كانوا يتحكمون فى النقد فى الصحف والمجلات فى تلك الأيام ، أيام غياب الحرية ، وتحكم الماركسيين فى أقدار الكتاب ؛ فقد وجهت إلى كل منهما تهمة أنه « يؤمن بالغيبيات » وأنه « غير تقدمى » ، كأنما الإيمان بالله والتمسك بالقيم الروحية يحبطان من قدر الكاتب ويزريان بأدبه .

وإن هدف « مكتبة مصر » من إعادة نشر مؤلفاته ، وتقريبها من أيدي القراء ، هو أن تساعد على أن يوضع على أحمد باكثير فى المرتبة التى يستحقها بين كبار كتاب العربية ، وأن تعرف مؤلفاته الروائية والمسرحية طريقها إلى المكتبة العالمية .
وبالله التوفيق .

سعيد جودة السحار

رقم الإيداع : ١٩٩٠/٨١٨٠

الترقيم الدولي : 6 - 0623 - 11 - 977



الشمس ٢٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سميد جوده السحار وشركاه